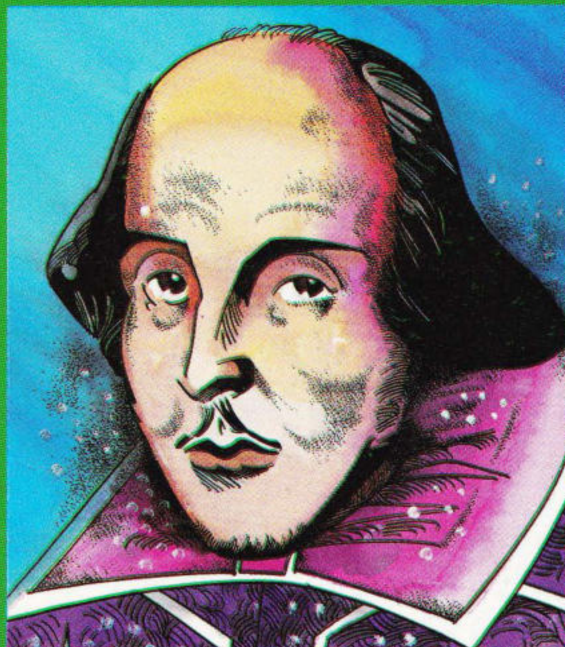
روائع شكسبير

العين بالعين

مسرحية في خمسة فصول

للشاعر الإنكليزي الكبير

وليم شكسبير



دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العين بالعين

العين بالعين

مسرحية في خمسة فصول

للشاعر الإنكليزي الكبير
وليم شكسبير

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ ـ ٨١٥٥٧٣

وليم شكسبير
(١٥٦٤ ـ ١٦١٦)

أعظم الشعراء والكتاب المسرحيين الإنكليز ، ومن أبرز الشخصيات في الأدب العالمي إن لم يكن ابرزها على الإطلاق . يصعب تحديد عبقريته بمعيار بعينه من معايير النقد الأدبي ، وإن كانت حكَمُه التي وضعها على لسان شخصيات رواياته خالدة في كل زمان .

هناك تكهنات وروايات عديدة عن حقيقة شخصيته التي يكتنفها الغموض والإبهام ، وعن حياته التي لا يعرف عنها إلا القدر اليسير . والثابت أن اباه كان رجلاً له مكانته في المجتمع ، وكانت أمه من عائلة ميسورة الحال . وقيل إنه بلغ حدّاً من التعليم مكّنه من التدريس في بلدتهستراتفورد ـ أون ـ آفون ، التي يوجد بها الآن مسرح يسمى باسمه ، يقوم بالتمثيل على خشبته أكبر الممثلين المتخصصين في رواياته . ومن الثابت أيضاً أنه تزوج من آن ماتاواي ، وأنجب منها ثلاثة أطفال .

في سنة ١٥٨٨ انتقل إلى لندن وربط حياته بالمسرح هناك . وفي سنة ١٥٨٩ أُخرجت أولى مسرحياته ، وهي إما مسرحية « كوميديا الأغلاط » أو الجزء الأول من مسرحية « هنري السادس » . وفي سنة ١٥٩٩ اشترك في إدارة مسرح غلوب الشهير .

وقد كان شكسبير رجل عصره على الرغم من عالمية فنه ، إذ تأثر إلى حدّ بعيد بمعاصريه من كتّـاب المسرح مثل توماس كيد وكريستوفر مارلو ، وخاطب مثلهم الذوق الشعبي في عصره ، وهو الذوق الذي كان يهوى المآسي التاريخية بما فيها من عنف ومشاهد دامية . كما كان يهوى المشاهد الهزلية ذات الطابع المكشوف التي كانت تتخلل المسرحيات التراجيدية لتخفف من حدة وقعها .

غير أن شكسبير هذّب القصص التي نقلها عن المؤرخ هوليتشد لتاريخ انكلترا واسكوتلندا ، كما هو الحال في مسرحيات « مكبث» و« الملك لير » و« سمبلين » و « ريتشارد الثالث » . وعن المؤرخ الروماني بلوتارك ، كما في مسرحية « أنطوني وكليوباطرا » . وأضف إلى ذلك كله عمق تحليله للنفس البشرية ، فضلاً عن شاعريته الفياضة في تصوير المواقف التاريخية والعاطفية الخالدة ، حتى جعل من المسرح الإنكليزي فنّاً عالميّاً رفيعاً .

ومن المتفق عليه بين معظم الباحثين والدارسين أن ٣٨ من المسرحيات لا يشك في نسبتها إليه ، وأن مراحل إنتاجه الأدبي يمكن تقسيمها إلى مراحل أربع :

أولاهـا : (١٥٩٠ ـ ١٥٩٤) وتحوي مجمـوعة من المسرحيات التاريخية منها « كوميديا الأغلاط » و « هنري السادس » و « تيتوس أندرونيكوس » و « السيدان من فيرونا » و « جهد الحب الضائع » و « الملك جون » و « ريتشارد الثالث » و « ترويض النمرة » .

المرحلة الثانية : هي المرحلة الغنائية (١٥٩٥ ـ ١٦٠٠)

وتشتمل على معظم قصائده الشهيرة وبعض مسرحياته الخفيفة ، مثل « ريتشارد الثاني » و « حلم منتصف ليلة صيف » و « تاجر البندقية » التي ترجمت جميعاً إلى العربية مع بعض روائعه الشهيرة مثل « روميو وجولييت » و « هنري الخامس » و « يوليوس قيصر » و« كما تهواه » وقد ترجمت جميعاً إلى العربية أيضاً.

ومن مسرحيات هذه المرحلة كذلك « زوجات وندسور المرحات » و « ضجيج ولا طحن » .

المرحلة الثالثة : وهي أهم المراحل على الإطلاق ، إذ تمثل قمة نضوجه الفني ؛ فقد كتب فيها أعظم مسرحياته التراجيدية ، مثل « هاملت » و « عطيل » و« الملك لير » و« مكبث » و« أنطوني وكليوباطرا » و« بركليز » و « كريولينس » و « دقة بدقة » ، وقد ترجم معظمها إلى العربية ، ومنها ما ترجم أكثر من مرة ، ومنها ما بلغ عدد ترجماته العشرة مثل « هاملت » .

ومن مسرحيات هذه المرحلة أيضاً « تيمون الأثيني» و « خير ما انتهى بخير » .

المرحلة الرابعة : وهي المرحلة التي اختتم بها حياته الفنية (١٦٠٩ ـ ١٦١٣) ، وقد اشتملت على مسرحيات « هنري الثامن » و « العاصفة » مما ترجم إلى العربية ، وعلى مسرحيتي « قصة الشتاء » و« سمبلين » .

وفي هذه المرحلة نجد العواطف النفسية العنيفة وقد خبت وتحولت في نفس الشاعر إلى نظرة تقبل ورضى وأمل وتأمل .

هذا وقد نسب بعض النقاد المتقدمين مؤلفاته إلى آخرين ، منهم الفيلسوف فرنسيس بيكون ، ومنهم إيرل اكسفورد . وقال

آخرون إنه من أصل عربي وإن اسمه جاء تحريفاً لاسم الشيخ زبير . وكلها أقوال لم تثبت بالأدلة القاطعة ولم يقم عليها الدليل العلمي وإن كانت هناك بحوث كثيرة في هذا الصدد . ولقد اشترك كثير من كبار الشعراء في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في جمع مسرحياته ونقدها ، وإن اختلفت وجهات النظر وتعددت أساليب النقد . ففي القرن الثامن عشر اعترض كتّاب من أمثال « دريدن » و « بوب » على ما اعتبروه إسراف شكسبير في الخيال والتعبير . أما شعراء القرن التاسع عشر من أمثال « كولريدج » فقد أعطوا الشاعر الكبير ما يستحقه من التقدير ، وكذلك الحال بالنسبة إلى نقاد القرن العشرين ، من أمثال « ت . س . اليوت » ممن أكدوا عالمية فنه وخلود أدبه .

هذا وقد كان لشكسبير أثره الكبير في آداب جميع الأمم على الإطلاق ، وتأثر به جميع الكتاب والشعراء والأدباء في كل البلدان وفي كل العصور ، في القارة الأوروبية وفي الأمريكتين وفي غير ذلك من القارات في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر خاصة ، وفي غير ذلك من القرون . أما في الأدب العربي فقد تأثر به كثير من الأدباء ، وترجمت معظم مسرحياته ، وقدمت في المسرح والسينما والإذاعة .

ونحن ، في دار الكتب العلمية ، إذ يسرنا أن نقدم إلى القراء الكرام أشهر مسرحيات شكسبير المعربة ، نتمنى أن يكون ذلك دافعاً لمزيد من التمازج والتلاقح بين الثقافة العربية العظيمة ومختلف الثقافات الأجنبية ، تمهيداً لإنشاء ثقافة إنسانية واحدة متكاملة . وما توفيقنا إلا بالله العلي العظيم .

شخصيات المسرحية

فنستيو	الأمير الدوق
انجيلو	نائب الأمير الدوق
ايسكالوس	نبيل مسن
كلوديو	شاب
ليسيو	مهرج
سيدان آخران من طينة واحدة	
آمر السجن: (ويشار اليه أيضاً بكلمة «الآمر»)	
الراهب توماس	أو الراهب بيتر **قاض**
ايلبوي	شرطي ساذج
فروث	سيد أبله
بومباي	تابع السيدة اوفيردون
ابهورسون	جلاد
برناردين	سجين متهتك
فريوس	سيد صديق للدوق
ايزابيل	أخت كلوديو

مريانة	خطيبة انجيلو
جوليت	حبيبة كلوديو
فرنسيسكا	راهبة
اوفيردون	عاهرة

(حاشية من النبلاء والضباط والتوابع والمواطنين وصبي)

المنظر فيينا (وضواحيها)

الفصل الاول

المشهد الأول في فيينا

(يدخل الدوق وإيسكالوس واللوردات «والأتباع»)

الدوق : يا إيسكالوس.

إيسكالوس : نعم، سيدي

الدوق : لو حاولت التكلم بالتفصيل في أصول الحكم لكنت أتكلف الكلام والخطاب إذ لا بد لي أن أعرف أن معلوماتك في هذا الميدان، ليقصّر عن مداها كل رأي بمقدوري تقديمه لك: فما عليك إذن إلاّ أن تجمع قدرتي إلى قدراتك، وأنت بمقدورك ذلك. وهكذا تنطلق بهما للعمل، فطبائع شعبنا وتقاليد بلدنا، وأصول العدالة بين الناس، أنت أعلم بها كلها لأبعد ما تكون المعرفة من غيرك، هاك أمرنا، الذي لا نرضالك أن تحيد عنه، هيا اطلب انجيلو ودعه يحضر أمامنا.

(يخرج أحد الأتباع)

ترى كيف يمكن أن يقوم برسالتنا. لقد آن أن تعلموا أننا صممنا فاخترناه أن يقوم مقامنا في أثناء غيابنا وأضفينا عليه هيبتنا وأوليناه حبّنا ومكّنا لولايته كل الأسس التي عليها يقوم سلطاننا، فما رأيكم؟

إيسكالوس : لو كان في فيينا رجل واحد جدير أن ينال هذا الشرف النبيل والمجد الواسع فإن انجيلو هو ذاك الرجل.

(يدخل انجيلو)

الدوق : انظروا، إنه قادم.

انجيلو : ها أنا، رهن إشارتكم دوماً، أتيت لأنفذ أمركم.

الدوق : أنجيلو، إن في حياتك إشارة يستخلص المراقب منها كل تاريخك، فأنت لا تمتلك نفسك ولا ما أوتيت. بحيث انك تستنفذ ذاتك وحسناتك أو أن هذه تجترك وتعاود اجترارك. فالسماء تصنع بنا كما نصنع نحن بالشموع، لا تشتعل لذاتها، كذلك فضائلنا إذا هي لم تبسط فهي والعدم سواء، فالأرواح

السـامية لسمـو الغايـات، والطبيعـة لا تسلّف أحـداً مثقال ذرة واحـدة من كنزهـا إلا كـآلهـة حريصة جداً، تتخذ لنفسهـا في زهو، مـوقف المقرض الذي له علينا الامتنان والشكر وريـع مـاله، ولكني أسهب في الحـديث لرجـل هـو خيـر من يقـوم بـأداء رسـالتي، هيّـا إذن يـا انجيلو. حين نرحل، خذ مكاننا بكل مـا نحن فيه من سلطان، كن القوة والـرحمة في فيينـا. عش كمـا يـرضى لسـانـك وضميـرك وأمّـا ايسكالوس العجوز الهرم فهو وإن كان لـه حقّ الصدارة، فقد نصّبناه في المركز الثاني. فهيّـا تولّ ما كلفت به من مهام.

انجيلو : ولكن يا سيدي المحتـرم هلاّ خبـرت معدني. قبل أن تنعتني بهذه النعوت النبيلة السامية.

الدوق : دعك. لا تحاول التهرب، لقد قرّ رأينا قبل أن يقـع عليـك اختيـارنـا، وعلى هـذا فلتستلم مهامك. إن إسراعنـا بالـرحيل تقتضيـه حالـة مستعجلة كـان لهـا المقـام الأول على أمـور

أخـرى، سوف نكتب إليـك كلما ألـحّ الـزمن واقتضى الأمر نعلمك بمجريات أمورنا ونـأمل أن تخبـرنـا أنت بمـا يحـدث هنـا، فـوداعـاً وأتركك واثقاً بأنك ستنفذ ما أوكل إليك.

انجيلو : ولكن أرجـو يا سيـدي ان تسمح بـأن نواكبـك مسافة من الطريق.

الدوق : إني لفي عجلة قـد لا تسمـح بـذلـك كمـا أن الأمـر لا يحتـاج منـك أن تشغـل بـالـك بـأي هــاجس، فلك سلطاتي جميعـاً. أنت منفّــذ القانون وأنت مشرّعه بما تراه مناسباً، وداعـاً، سوف أرحل سراً، فأنا أحب الشعب ولكني لا أحب أن أزفّ منـه في مظاهـرة، ولو أن ذلـك شيء جميـل غيـر أنـــه لا تعجبني هتـافــاتهم المـدوية وصيحاتهم الحماسية وليس من رجل عاقل ـ فيما أظن ـ يحبّذها، وداعاً مرة أخرى.

انجيلو : لترعاك السماء فيما تهدف إليه!

ايسكالوس : فلتذهب ولتعد سعيداً.

الدوق : شكراً ووداعاً. (يخرج).

ايسكالوس : هلاّ تسمح يا سيدي بأن أحدثك بصراحة، إنه لأمر يشغل بـالي أن أتقصّى كنه مـركزي. في

يدي سلطان ولكن مداه وطبيعته لم يوضحا لي بعد.

انجيلو : وهكذا بالنسبة لي فلنناقش الأمر سوية وربما نصل إلى تفسير لهذه المسألة.

ايسكالوس : إني رهن أمركم. (يخرجان).

المشهد الثاني

(ذات المكان)

(يدخل ليسيو وسيدان آخران)

ليسيو : إذا لم يتفق أميرنا وبقية الأمراء مع ملك المجر فلا شك أن يشتبك الأمراء جميعهم في حرب مع الملك.

السيد الأول : فلتمنحنا السماء ـ لا ملك المجر ـ سلامها.

السيد الثاني : آمين

ليسيو : إنك في منطقك هذا، تذهب مذهب القرصان الذي تظاهر بالورع والتُّقى وركب البحر حاملاً في يده الوصايا العشر ولكن واحدة منها محاها من لوحها الحجري.

السيد الثاني : «لا تسرق».

ليسيو : أجل، فما هذه؟

السيد الأول : نعم لقد كانت هذه الوصية تحول بين القرصان ورجاله وبين أدائهم لوظائفهم عندما يبحرون للسرقة، وما من جندي ـ في دعاء الشكر قبل تناول اللحم ـ يستسيغ الضراعة من أجل السلام.

السيد الثاني : لم أسمع عن جندي يكره ذلك.

ليسيو : إني أصدقك، فأنت ـ على ما أعتقد ـ لم تحضر أبداً صلاة النعمة.

السيد الثاني : كيف ذلك؟ بل حضرتها على الأقل اثنتي عشرة مرة.

السيد الأول : ماذا تقول؟ هل كان ذلك في كلام موزون؟

ليسيو : في أي تناسب أو في أية لغة.

السيد الأول : وأعتقد في كل دين.

ليسيو : أجل ولم لا؟ النعمة هي النعمة، على الرغم من أي اختلاف، أنت مثلاً: فأنت سافل شرير رغم كل النعم.

السيد الأول : حسناً ونحن من جبلة واحدة، لم يفرق بيننا سوى شقّي مقصّ.

ليسيو : أعترف بذلك، تماماً كما يفرق بين الحاشية والمخمل ذاته، وأنت حافة الحاشية.

السيد الأول : وأنت المخمل، أنت مخمل من صنف جيد، أؤكد لك، مخمل ذو طبقات ثلاث. إنني لأفضل أن أكون حاشية لقطعة صوف إنكليزي، مثلما يبدو رأسك وهو مجرد من الشعر، على أن أكون مخملاً فرنسياً منمّقاً، هل أصبت الحقيقة في كلامي؟.

ليسيو : أعتقد ذلك، والواقع أنك تصيبها والألم يعصر نفسك، كما يظهر من كلامك، وسوف أتعلم ـ بناءً على تصريحك الشخصي ـ كيف أبدأ في شرب نخب صحتك ولكني لن أشرب بعدك ما حييت.

السيد الأول : أعتقد أنني قد أسأت لذاتي، أليس كذلك؟

السيد الثاني : نعم، لقد فعلت ذلك، سواء أصابتك العدوى أو نجوت منها.

(تدخل السيدة اوفيردون)

ليسيو : انظر، انظر، ها هي السيدة، مروضة الشهوات، آتية لقد التقطت من دارها عديداً من الأمراض يقدر بـ. .

السيد الثاني : يقدّر بكم؟

ليسيو : قدّر أنت.

السيد الثاني : بثلاث آلاف مصيبة في السنة.

السيد الأول : أجل، وأكثر من ذلك.

ليسيو : أكثر بريال فرنسي.

السيد الثاني : إنّك دائماً تعدّ أمراضي ولكنك مخطىء جداً، إنني سليم معافى.

ليسيو : كلا، لا يمكن أن يُقال إنّك سليم حقاً، ولكنك سليم سلامة الأشياء الخاوية،

فعظامك جوفاء، لقد جعل الرجس منك غذاء طيباً له.

السيد الأول : كيف حالك الآن؟؟ أيٌ من فخذيك مصاب أكثر بعرق النسا؟

السيدة اوفيردون : حسناً، حسناً، هنالك شخص ألقي القبض عليه، يسوقونه إلى الحبس، مع أنّه أكفأ من خمسة آلاف منكم جميعاً.

السيد الثاني : بحق الربّ، من يكون ذاك؟

السيدة اوفيردون : إنه كلوديو يا سيدي، سنيور كلوديو.

السيد الأول : كلوديو إلى الحبس؟؟ لا يمكن أن يحدث ذلك.

السيدة اوفيردون : ولكني أعرف ذلك، رأيتهم يقبضون عليه وشاهدته يُساق والأمرُ من ذلك أنّ رأسه سيُقطع خلال ثلاثة أيام.

ليسيو : رغم كل هذا العبث، أنا لا أطيق أن يكون الأمر كذلك، هل أنت على يقين من هذا؟

السيدة اوفيردون : جد متيقنة، وذلك لأن السيدة جوليت قد حملت منه بطفل.

ليسيو : حسن. قد يكون هذا صحيحاً! لقد وعد أن

يقابلني منذ ساعتين، وكان دائماً صادق في مواعيده.

السيد الثاني : زد إلى ذلك أن هذا النبأ يحمل في ثناياه ما يقارب مضمون الحديث الذي سبق أن جرى بيننا في هذا الموضوع.

السيد الأول : ولكن أعظم دليل أنه يتفق مع ما أُشيع من أنباء.

ليسيو : فلنبارح هذا المكان وهلمّ بنا نذهب لنعرف حقيقة الأمر.

(يخرج ليسيو والسيدان)

السيدة اوفيردون : يا للعجب، كم قتلى الحرب، وكم قتلى العرق، وكم قتلى المقصلة، وكم قتلى الفقر، كم تدهشني تصرفات القدر.

(يدخل بومباي)

كيف حالك الآن، ما وراءك من أخبار؟

بومباي : أرى من بعيد شخصاً يسوقونه إلى الحبس.

السيدة اوفيردون : ماذا فعل؟

بومباي : امرأة.

السيدة اوفيردون : ولكن ما هي جريمته؟

بومباي : صيد السمك في نهر غريب.

السيدة : عجباً! أفي الأمر امرأة حملت منه بطفل؟

اوفيردون

بومباي : كلا ولكن في الأمر امرأة حملت منه بعذراء القويع، هلّا سمعت ما أُشيع من أنباء.

السيدة : أية أنباء هذه أيها الرجل؟

اوفيردون

بومباي : ستهدم جميع البيوت التي في ضواحي فينا.

السيدة : وما مصير تلك التي في وسط المدينة؟

اوفيردون

بومباي : سوف تبقى كبذور، قيل إنها ستهدم أيضاً، ولكن يشاع ان أحد الغرباء تدخل في الأمر.

السيدة : وهل ستهدم كل المنازل التي بنيناها

اوفيردون كمنتجعات لنا في الضواحي؟

بومباي : ستدكّ دكاً يا سيدتي.

السيدة : عجباً لقد طرأ حقاً تبدّل في الكومنولث، ترى

اوفيردون ما سيكون مصيري؟

بومباي : مهلاً: لا تخافي، إن من يحسن المشورة لا يفقد المحبذين ومع إنك تبدلين مكانك فإن ذلك لا يتطلب أن تبدلي مهنتك، وعلى أي حال فأنا سأعمل ساقياً عندك، تشجعي سوف

تكتسبين العطف، أنت التي عيناك كادتا تبليان من العمل، لا بد أن تجدي قسطاً من الرعاية.

السيدة اوفيردون : ماذا تعمل هنا يا ساقي الخمر توماس؟ هيا بنا نذهب.

بومباي : ها هو سينيور كلوديو آت يقوده الآمر إلى السجن، وعلى مسافة تبدو السيدة جوليت. (يخرجان).

(يدخل آمر السجن وبعض الضباط (مع) كلوديو وجوليت وليسيو والسيدان)

كلوديو : لماذا تعرضني أيها الصديق على الجمهور بهذا الشكل انقلني إلى السجن حيث قد قضي عليّ بالعقوبة.

الآمر : ليس لدي سوء نية في ذلك، فإنني مكلف بأمر خاص من لورد أنجيلو.

كلوديو : تستطيع السلطات، أنصاف الآلهة، إرغامنا على دفع ثمن أخطائنا. هكذا قد قضت إرادة السماء، ترحم من تشاء وتشدد النكير على من تشاء، ورغم ذلك فهي عادلة.

ليسيو : والآن كيف الحال يا كلوديو؟ ما سبب هذا القمع؟

كلوديو : الحرية. وقد يفلت لها الزمام بدون حساب، يا ليسيو، الحرية، كالصوم، هي وليدة التخمة، والحرية إذا لم تقف عند حدّ انقلبت قمعاً، إن جبلّتنا الإنسانية لتهرب كالفئران - التي تسرع لتلتهم سمّها الزعاف - كي تلاحق شراً يحدق بها، وما أن نتناول الكأس حتى نخرّ أمواتاً.

ليسيو : آه، لو كانت لي حكمة مثل حكمتك، وأنا مأسور، لبعثت - دون تردد - أستدعي بعض دائني ورغم ذلك فإني - والحق يقال - أحبّذ منطق الحماقة التي تنطوي عليها الحرية على منطق الحكمة التي تستتر خلف السجون. ما جريمتك يا كلوديو؟

كلوديو : هي ما يصبح جريمة أخرى لو تكملت عنه مجرد كلام.

ليسيو : ترى ماذا يكون، أهو قتل؟

كلوديو : كلا.

ليسيو : أهو دعارة؟

كلوديو : فلتدعوها كذلك.

الآمر : هيا يا سيدي.. عليك أن تذهب.

كلوديو : كلمة واحدة، يا صديقي الطيب، ليسيو، كلمة معك.

ليسيو : مائة إذا كان ينفعك ذلك. أوَهَكَذَا يترصدون للدعارة؟

كلوديو : هاك حكايتي. بموجب عقد صحيح استبحت لنفسي فراش جوليت. إنك تعرفها، لقد ارتبطنا برباط الزوجية غير أنّا لم نشع هذا الخبر للناس حسب ما تقتضيه الطقوس الشكلية، لم نفعل ذلك حتى يتأمن لنا مهر لا يزال مودعاً في خزائن أنسبائها. واتفقنا ألا نفشي عاطفتنا لهم، إلى أن يستميلهم القدر إلى جانبنا، غير أنه قد حدث أن ذلك الحب السري، الذي يشعر به ـ إلى أقصى حد ـ كل منا نحو الآخر، قد كُتب بأحرف فاضحة ـ جد فاضحة ـ على جوليت.

ليسيو : كُتب بطفل، ربما.

كلوديو : لسوء الحظ، هكذا حدث. ونائب الدوق الجديد، من يقوم مقامه الآن، ولما ينطوي كل جديد من وميض، أو ربما لأن الشعب كحصان يمتطيه الحاكم الذي يريد ـ وهو يحتل مركزه الجديد ـ أن يدرك الشعب ما له من سلطان،

فيشعــره ـ لأول وهلة ـ بـوخــز مهمـازه. وليت شعـري، هل الاستبـداد ينبع من مـركـزه أو من شعوز من يحتل ذلك المركـز بعلو شأنـه، لست أدري. ولكن هذا الحاكم الجديد يعيد إحياء ما أثبته القانون من عقوبـات بقيت إلى الآن كدرع صـدىء معلق زمنـاً طـويـلاً، حتى دارت بهـا البـروج تسع عشـرة دورة دون أن تـطبق، هـذا ومن أجل أن يثبت شهرتـه فهو الآن يـطبق عليّ قانوناً كان مهملاً يغط في نعاس.

ليسيو : أؤكد إنها لكـذلك، وإن رأسـك ليهتز من فـوق كتفك اهتزازاً يكفي معه أن تطيح به آهـة تنفثها بائعة حليب يحـرقها الحب، ارسـل من يذهب إلى الدوق ويعلمه بالأمر.

كلوديو : لقـد فعلت ذلك ولكن لم نجـده فهـلاّ أديت لي هـذه الخدمـة الجليلة إن أختي ستدخـل اليـوم الـديـر. حيث تتلمـذ فيـه، بيّـن لهـا الخـطر المحـدق بي واطلب منهـا بلسـاني أن تسعى لكسب رضا نائب الـدوق الحازم، وأن تفـرض نفسها عليه. إن لي الأمل الكبير في ذلك، ففي شبابها لهجـة استعطاف صـامتة ممـا قد يحـرك الرجال، وهي قادرة جداً على الإقناع.

لوسيو : لكم أحب أن تنجح، تحبيذاً لمن يقع فريسة لمثل هذه التهمة الخطرة، وكذا لتنعم أنت بالحياة، فمن المؤسف أن تفقد حياتك ضحية لهو كلعبة النرد، سأذهب إليها.

كلوديو : شكراً لك يا صديقي الطيب، ليسيو.

ليسيو : في ظرف ساعتين.

كلوديو : هيّا أيها الضابط، لنذهب من هنا.

(يخرجان)

المشهد الثالث

(صومعة راهب)

(يدخل الدوق والراهب توماس)

الدوق : كلا، أيها الأب القديس، أبعد عنك هذه الفكرة ولا تصدق أن سهم الحب الطائش يقوى على النفاذ إلى قلب صامد، وإني لأطلب أن تمنحني لديك مأوى بعيداً عن العيون، فلي غاية أرفع مأرباً وأعرق مقصداً من غايات ومآرب الشباب الملتهب.

الراهب توماس : هلا تكلمت فخامتك عنها؟

الدوق : سيدي القديس، ما من أحد يعرف أكثر منك بأنني أحب حياة العزلة وأحتقر أن أغشى المجتمعات حيث يقيم الشباب ومظاهر البذخ والخيلاء. لقد سلّمت إلى لورد أنجيلو ـ وهو رجل حازم ـ زاهد جداً في الحياة ـ سلمته سلطاني المطلق وأنا أقطن هنا في فيينا وهو يعتقد أني رحلت إلى بولندا كما أشعت أنا بين الناس وتقبّلوها، والآن يا سيدي الورع

ستسألني عن الغاية من هذا.

الراهب توماس: يسرني ذلك يا سيدي.

الدوق: إن لنا لوائح دقيقة وقوانين حازمة جداً لا بد منها لِلَجْمِ جوامح الخيل أرخيناها لمدة أربعة عشر عاماً، كالأسد العجوز قابع في عرينه لا يخرج للصيد. وبعد إننا كآباء أغبياء يحتفظون بعصا الطاعة الحازمة ليلوّحوا بها ـ فقط أمام أطفالهم وعيداً، لا ينفذ، والحال كذلك لا بد من يوم تصبح فيه هذه العصا أداة سخرية أكثر منها أداة وعيد، وكذلك هي لوائحنا مجمدة، كأنها لم تكن. فالحرية تجر بالعدالة راغمة الأنف والطفل يصفع مربيته ويتبدد كل احترام.

الراهب توماس: لقد كان على فخامتكم أن تطلقوا تلك العدالة السجينة أنّى شئتم ولظهرت فيكم أعظم مهابة منها بلورد أنجيلو.

الدوق: أخشى أن تظهر مهابتها وقد بلغت حد الشطط. لقد كان خطأ أن أرخيت للشعب العنان، فمن الظلم أن أجازيهم على شيء أغريتهم به. فنحن الذين أغرينا بذلك حين كان الإثم يسمح به، ولا يسمح بالقصاص ولهذا السبب حقيقة يا

أبتِ؛ فقــد تخليت لأنجيلو عن منصبـي حتـى يستطيع وهو متحصن بسلطاتي أن يضع الأمـور في نصــابهـا بينمــا ابتعـدت بنفسي عن هــذه المعـركـة حتى لا تلوث سمعتي، ولكي أراقب كيفية حكمه،سوف أتقمص شخصية قس مثلكم وأزور السلطان والشعب، ولذا فإني أطلب منك أن تمـدّني بزيكم وتـرشدني كي أبـدو بمـظهـر القس الحقيقي. أمــا لِمَ أفعـل هــذا؟ فــإنني أجيبـك عنـه في منــاسبـة ثــانيـة، ولكن الآن ســأخبرك ان لـورد انجيلو رجل صـراط مستقيم يقف شـاكي السلاح أمـام نـوازع الضغينـة، لا يكاد يقر سـريان الـدم في جسده، أو أن شهيتـه أكثر اتجاهاً إلى الخبز منها إلى الحجر ومن هنـا سنتبين إذا كانت السلطة تغير الأهداف.

(يخرجان)

المشهد الرابع

(دير الراهبات)

(تدخل ايزابيل وفرنسيسكا وراهبة)

ايزابيل : أيتها الراهبات أليس لَكُنَّ حرية أوسع مدى؟

فرنسيسكا : أليست هذه الحرية كافية؟

ايزابيل : أجل. هذا صحيح، أنا لا أقصد المزيد منها ولكن أريد قيوداً أكثر حزماً على راهبات سانت كلير.

ليسيو : (من الداخل) هيّا، ألا سلاماً على هذا المكان.

ايزابيل : من الذي ينادي؟

فرنسيسكا : إنه صوت رجل يا إيزابيل اللطيفة، افتحي واسأليه ما شأنه فأنت مسموح لك أن تفعلي ذلك وأما أنا فلا. فأنتِ لم تقسمي اليمين بعد، وعندما تفعلين يجب عليك ألا تكلمي الرجال إلا بحضور رئيسة الدير، وعندما تتحدثين تحدثي وأنت منتقبة وإذا كشفت النقاب عن وجهك فلا تتحدثي. ها هو ينادي مرة أخرى، هلا أجبت (تتنحى جانباً).

ايزابيل : سلاماً وخيراً من ينادي؟

(يدخل ليسيو)

ليسيو : سلاماً أيتها العذراء إذا كنت كذلك، وما ينبىء عنه احمرار خديك. إنك لست دون ذلك، هلا ذهبت بي إلى إيزابيل، وهي راهبة جديدة في هذا الدير والأخت الحسناء لأخيها التعس كلوديو؟؟

ايزابيل : ولم «أخيها» التعس؟ هل لي أن أسأل، فأنا هي إيزابيل. أخته.

ليسيو : لطيفة وجميلة، أخوك يهديك أرق تحية ولن أطيل عليك الكلام، إنه في السجن.

ايزابيل : يا لوعتي، ولم؟

ليسيو : لشيء، لو قدر لي الحكم فيه، لكان الشكر إليه، حملت منه صديقته بطفل.

ايزابيل : لا تجعل مني أمثولة يا سيدي.

ليسيو : هذا صدق وأنا لن أفعل بك ذلك ـ ولو أن من عادتي مع العذارى أن أبدو كطائر مزقزق وأمزح بلسان بينه وبين الفؤاد فجوة عميقة، هكذا أداعب جميع العذارى ولكنك بالنسبة لي شيء مقامه في السماء، مقدس بل أنت ـ في زهدك ـ روح سرمدية.

ايزابيل : إنك تهزأ بالصلاح إذ تهزأ مني .

ليسيو : دعك من هذه الفكرة، إليك الحقيقة. إن أخاك وحبيبته قد تضاجعا وشأنهما ككل طاعم، لا مناص لديه من الامتلاء، وكذلك فترة الإخصاب تجعل بالحب المنشور، الأرض العراء جنياً، وهكذا رحمها الممتلىء يكشف عن خصبه واكتماله .

إيزابيل : فتاة حملت منه بطفل؟ ابنة عمي جوليت؟

ليسيو : أهي ابنة عمك؟

ايزابيل : بالتبني كما يبدل العذارى أسماءهن في المدارس يحدوهن هوى جامع، وذلك له مبرراته .

ليسيو : هي نفسها.

ايزابيل : فليقترن بها .

ليسيو : هذا بيت القصيد، فقد ترك الدوق البلاد ـ على غير عادته ـ بعد أن خدع الكثيرين من الرجال ـ وأنا واحد من هؤلاء ـ مشيراً لهم بالعمل في الجيش ولكن علمنا، ممن لهم دراية ببواطن الأمور في الدولة، أن تصريحاته كانت بعيدة كل البعد عما يقصد حقيقة . وقد تربع لورد أنجيلو في منصبه وقبض على سلطاته جميعاً ـ

كحاكم بيننا ـ وهو رجل دمه أبرد كالثلج ـ لا يشعر بلسعات الشعور النزقة أو بغليانه. بل يقمع من حدة الأحاسيس، بإعمال الفكر درساً وصوماً. كي يحد ما اعتاده الناس من الحرية. التي طالما مرت أمام القانون البغيض كما تمر الجرذان أمام الأسود، تمسّك بقانون أصبحت حياة شقيقك رهينة به وألقي القبض عليه بمقتضاه، ليجعل منه أمثولة وقد ذهب كل الأمل إلا إذا تمكنتِ وألنتِ أنجيلو باستعطاف رقيق منك. هذا هو جوهر مسعاي بينك وبين شقيقك المسكين.

ايزابيل : أهذا ما يطلبه؟

ليسيو : لقد صدر الحكم عليه فعلاً، وقد سمعت أن لدى آمر السجن أمر بإعدامه.

ايزابيل : واحسرتاه! أي حول لي ينفعه الآن؟

ليسيو : استخدمي قوتك.

ايزابيل : قوة؟ يا للأسف، أشك في ذلك.

ليسيو : إن شكوكنا تفقدنا ما قد يصيبنا من خير لو تلكأنا عن المحاولة، اذهبي إلى لورد أنجيلو وليعلم أن العذارى إذا التمسن فإن الرجال يهبون كالآلهة، فإذا انتحبن وجثين فكل ما يبغين ملك

لهن دون نزاع كأنهم يتقاضين حقاً لهن.

ايزابيل : سأحاول القيام بما أستطيع.

ليسيو : ولكن بسرعة.

ايزابيل : سأفعل ذلك حالاً ريثما أُعلم الرئيسة، واسمح لي أن أشكرك. سلامي لشقيقي، في المساء سأبلغه بنجاحي المؤكد.

ليسيو : أستأذنك بالانصراف.

ايزابيل : إلى اللقاء أيها السيد الطيب.

(يخرجان)

الفصل الثاني

المشهد الأول

(قاعة المحكمة)

(يدخل أنجيلو وايسكالوس، وأتباع وقاض)

انجيلو : علينا ألا نجعل من القانون آداة ترهيب نقيمها لطرد الطيور الجارحة وندعها قابعة في قالب واحد، لتصبح، بحكم العادة، غصناً تحط عليه، لا رعباً يفزعنا.

ايسكالوس : أجل، ومع ذلك فلنكن حازمين، لنجرح جرحاً خفيفاً، ذلك خير من أن نكون ظلاماً فنهلك، ذلك الرجل الرقيق لو كان الأمر بيدي لأنقذته، كان والده رجلاً شريفاً جداً فلتعلم فخامتكم ـ وإنني متيقن من تمسككم بالأخلاق أنك بداخلك لو أن الزمن والمكان توافقا مع الرغبة ولو أردت تحقيق ما تصبو إليه نفسك. ألم تخطيء يوماً في حياتك فيما تؤاخذه عليه الآن وتشهر القانون ضد نفسك.

أنجيلو : تعرضك للإغراء شيء يا إيسكالوس، وأن تقع في شيء آخر، إنني لا أنكر أن المحلفين حين يحكمون بإعدام سجين ربما يكون بين أولئك

الاثني عشر الذين يفوهون بالقسم لص أو لصان أشد إثماً ممن يحاكمونه، فالذي يعرض أمام المحكمة تقضي فيه المحكمة ماذا تعرف القوانين عن لصوص يجلسون للحكم والقضاء؟ تلك حقيقة جلية: نجد الجوهرة ننحني لالتقاطها لأننا نراها، أما ما لا نشاهده فندوسه بالأقدام ولا يخطر لنا على بال. لا تخفف من إثمه لأن لي مثل أخطائه، بل أخبرني ـ وأنا الذي أدينه ـ حين أقع في نفس الخطأ ليكن حكمي هذا سابقة تقضي بإعدامي، ولكن يكون لي حجة مخففة، سيدي لا بد من إعدامه.

(يدخل آمر السجن)

ايسكالوس : ليكن الأمر كما أرادت حكمتك.

انجليو : أين الآمر؟

الآمر : ها أنا رهن إشارة فخامتكم.

انجيلو : عليك الإشراف على تنفيذ حكم الإعدام بالموت في كلوديو قبل التاسعة صباح غد أحضر له قسيساً ليعترف أمامه وليكن مستعداً. فهذا آخر الأمر بشأنه.

(يخرج الآمر)

ايسكالوس : (جانباً) حسناً فلتسامحه السماء ولتغفر لنا جميعاً. البعض تعليه الرذيلة والبعض تنزل به الفضيلة وكم رجل يفلت من مخالب الرذيلة ولا يدفع ثمنها وآخر يلقى حتفه لعثرة وحيدة.

(يدخل إيلبوي وضابط (مع) فروث وبومباي)

ايلبوي : هاتهم من هذا الطريق، إذا كانوا مواطنين صالحين لا يعملون شيئاً في الدولة غير مزاولة خطاياهم في بيوت الدعارة فإني لا أعرف للقانون معنى، هاتهم من هذا الطريق.

انجيلو : ماذا أصابك يا أخ؟ ما اسمك وما بك؟

ايلبوي : لو تتفضل بالإنصات لي فأنا شرطي الدوق واسمي ايلبوي: إني أعتمد على العدالة يا سيدي، وقد جئت باثنين عريقين في الإحسان ليمثلا أمامكم.

انجيلو : حسناً، من أي صنف هما أليسا شريرين؟

ايلبوي : لو تفضلت بالإنصات لي، فأنا لا أعرف حقيقتهما ولكنهما سافلان تماماً ـ هذا أكيد ولا يمتهنان في هذه الحياة، أيّ مهنة جديرة بالمسيحيين الأبرار.

ايسكالوس : (إلى أنجيلو) هذا جميل، هنا ضابط عاقل.

انجيلو : ما علينا، . من أي صنف من الناس هم؟

ايلبـوي، هـل هــذا اسمـك؟ لم لا تتكلم يــا ايلبوي؟

بومباي : لا يقدر يا سيدي، ليس سريع البديهة.

انجيلو : ماذا تعمل يا أخ؟

ايلبوي : هو يا سيدي؟ إنه نَذْل سيدي، يعمل أحياناً عند امـرأة عاهـرة، منزلهـا يـا سيـدي هـدم ـ كمـا يقـولون ـ في الضـواحي، والآن تـديـر حمامـاً ساخناً وهو في رأيي بيت سوء كذلك.

ايسكالوس : كيف علمت ذلك؟

ايلبوي : من زوجتي يـا سيدي التي أؤكـد، أمام السمـاء وأمام فخامتك...

ايسكالوس : كيف هذا؟ زوجتك؟

ايلبوي : نعم يـا سيـدي ـ التي أشكـر السمـاء على أنهـا امرأة شريفة.

ايسكالوس : وهل لذلك تكرهها.

ايلبوي : يا سيدي أقصد القول انني سأكره نفسي أيضـاً وهي أيضــاً، فهـذا المنــزل إن لم يكن منـزل قـواد، فهـو على أي حـال نقـطة ســوداء في حياتها، فهو بيت للرذيلة.

ايسكالوس : كيف تعلم ذلك أيها الشرطي؟

ايلبوي : بالبداهة يا سيدي بواسطة زوجتي التي لو كانت

امرأة تحب ملذات الجسد ربما كان يوجه لها اتهام الفسق والزنا وما شابه من رذائل.

ايسكالوس : بواسطة قوّاد عندها؟

ايلبوي : نعم يا سيدي، بواسطة قوّاد عند أوفيردون، ولكنها بصقت في وجهه، فقهرته.

بومباي : عفواً سيدي، فهذا غير صحيح.

ايلبوي : (إلى أنجيلو) هل تسمع كيف يضع الكلمات في غير أماكنها.

بومباي : لقد دخلت وهي حامل يا سيدي وكانت تشتهي، مع عدم المواخذة، أن تأكل برقوقاً مطبوخاً، ولم يكن في البيت إلا اثنتان فقط كانتا في طبق فاكهة ثمنه ثلاثة بنسات تقريباً. لقد رأيت فخامتكم مثل هذه الأطباق، وهي ليست بأطباق صينية ولكنها جيدة للغاية...

ايسكالوس : أكمل، أكمل ولا تأبه للطبق.

بومباي : لا لا حقاً، ولا، أنت هنا على حق نرجع إلى موضوعنا كما أقول، هذه السيدة ايلبوي كانت حبلى وقد طمعت في برقوق، وحيث كان في البيت برقوقتان في صحن، لأن هذا السيد الواقف هنا السيد فروث، كان قد التهم بقية البرقوق، كما

سبق وأسلفت، ودفع سعراً مرضياً، لأني كما تعلم يا سيد فروث ـ لم أكن قادراً على أن أعطيك ثلاثة بنسات مرة ثانية . .

فروث : طبعاً لا .

بومباي : حسناً، وتذكر تكسر نوى البرقوق .

فروث : أجل، كنت أفعل ذلك حقيقةً .

بومباي : حسن، تعني أن هذين الشخصين أصبح ميؤوساً من شفائهما، ما لم يتّبعا نظاماً خاصاً في الغذاء .

فروث : كل هذا صحيح .

بومباي : حسن إذن . . .

ايسكالوس : كفى، إنك شخص ممل، أخبرنا، ماذا حصل لزوجة ايلبوي مما سبب شكواه . هات ما جدَّ لها .

بومباي : لا تستطيع فخامتكم يا سيدي أن تأتي إلى هذا .

ايسكالوس : لا يا سيد، ولم أقصد أنا ذلك .

بومباي : إن شئت ستأتي، ولكني أرجوك متوسلاً أن تتفحص بنظرة السيد فروث الماثل هنا، يا سيدي، رجل دخله ثمانون جنيهاً في العام، توفي والداه أثناء الاحتفال الكنسي بعيد «جميع

القديسين» أليس، يا سيد فروث، كان ميقات ذلك الاحتفال، عشية عيد جميع القديسين؟

بومباي : حسناً، أرجو أن تكون هناك حقائق، لقد كان جالساً، يا سيدي، كما ذكرت، في مقعد منخفض كان ذلك في حجرة «عناقيد العنب» حيث يلذ لك أن تجلس، ألم تفعل ذلك؟

فروث : فعلت، لأنها حجرة عامة، ومناسبة لفصل الشتاء.

بومباي : حسن، أرجو أن يكون هذا الكلام صحيحاً.

انجيلو : سيطول هذا الكلام كالليل في روسيا، الليل الأطول في العالم، أنا ذاهب وأدعكم لتسمعوا بقية القضية، لعلكم تجدون مبرراً لجلدهم بالسياط جميعاً.

ايسكالوس : ليس أقل من ذلك فيما أعتقد، طاب يومك.

(يخرج انجيلو)

والآن يا سيدي، أخبرني ثانية، ماذا حدث لزوجة ايلبوي؟

بومباي : أبداً يا سيدي؟ لم يحدث لها شيء أبداً..

ايلبوي : أرجوك، يا سيدي، أن تسأله عما فعل هذا الرجل بزوجتي.

بومباي : التمس من فخامتكم أن تسألني.

ايسكالوس : حسناً، ماذا فعل بها هذا الرجل؟

بومباي : أرجوك يا سيدي، انظر إلى وجه هذا الرجل. وأنت كذلك يا سيد فروث انظر إلى فخامته، هناك سبب وجيه لذلك.

ايسكالوس : ها قد فعلنا أيها السيد، ماذا بعد؟

بومباي : كلا، أرجوك أن تدقق النظر إليه.

ايسكالوس : حسناً، ها أنا أفعل ذلك.

بومباي : هل ترى فخامتكم في وجهه ما يؤذي؟

ايسكالوس : في الحقيقة، لا.

بومباي : قسماً بالكتاب، إن أسوأ ما فيه هو وجهه ـ حسناً والآن، إذا كان وجهه أسوأ ما فيه، فكيف يمكن للسيد فروث أن يلحق السوء بزوجة الشرطي، أريد أن أعرف ذلك من فخامتكم.

ايسكالوس : هو على حق، ما هو رأيك في ذلك أيها الشرطي؟

ايلبوي : أولاً، بعد أن تأذن لي، فإن البيت مشبوه، وثانياً: هذا رجل مشبوه، وزوجته أيضاً مشبوهة.

بومباي : قسماً بذراعي هذه، إن الأكثر شبهة من أي منا جميعاً هي زوجته.

ايلبوي : أيها الخادم! كاذب أنت، أنت تكذب أيها

الخادم الفاجر، لم يسبق قط أن اشتبه فيها رجل أو امرأة أو طفل.

بومباي : لقد كان مشتبهاً بهما قبل زواجهما.

ايسكالوس : ما الأكثر حكمة هنا، العدالة أم التفرقة؟ وهل هذا صحيح؟

ايلبوي : كم أنت كلب أيها الخادم. أيها الفاجر المتوحش. أنا يشتبه فيّ معها قبل أن أتزوجها، لو سبق أن اشتبه فيّ أو فيها لما كنت الضابط الفقير لدى الدوق. أثبت ذلك أيها الفاجر المتوحش وإلا فإني سأنهال عليك ضرباً.

ايسكالوس : إذا أصابك بضربة على الاذن، بإمكانك أن تقاضيه للتشهير أيضاً.

ايلبوي : أشكر فخامتك لذلك، ماذا يرضيك أن أفعل مع هذا الشقي الفاجر؟

ايسكالوس : حقاً أيها الضابط، إن له هفواته التي تستطيع أن تكتشفها إذا كنت قادراً، لذلك دعه يسير في دربه إلى أن تتبينها.

ايلبوي : شكراً لفخامتك على ذلك، والآن أنت ترى، أيها الخادم الفاجر، ما حدث لك، مطلوب منك أن تكمل أيها الخادم، أن تكمل.

ايسكالوس : أين ولدت، أيها الصديق؟

فروث : هنا يا سيدي في فيينا.

ايسكالوس : هل دخلك السنوي ثمانون جنيهاً؟

فروث : نعم، بفضلك ورضاك يا سيدي.

ايسكالوس : حسناً (إلى بومباي) وأنت، ماذا تعمل.

بومباي : ساق في حانة عند أرملة فقيرة.

ايسكالوس : ما اسم سيدتك؟

بومباي : السيدة أوفيردون.

ايسكالوس : أكان لها أكثر من زوج؟

بومباي : تسعة يا سيدي، آخرهم السيد أوفيردون.

ايسكالوس : تسعة! تقدم أيها السيد فروث، أيها السيد فروث، أريد منك أن لا تختلط بسقاة الحانات. فإنهم يهرقون أحشاءك. اذهب من هنا، لا أريد أن أسمع عنك شيئاً بعد الآن.

فروث : شكراً لفخامتك، فإنني أتواجد في الحانات طوعاً وإنما أُجتذب إليها.

ايسكالوس : حسناً، ما سمعناه كاف بهذا الخصوص، رافقتك السلامة (يخرج فروث) تعالَ هنا يا ساقي الحانات ما اسمك؟

بومباي : بومباي.

ايسكالوس : وماذا أيضاً.

بومباي : بام يا سيدي.

ايسكالوس : فعلاً عجزك أعظم ما يميزك، كأنك بومباي العظيم، في أبشع صورة، أنت قوّاد، يا بومباي، تستّرت بذلك العمل كساقٍ، ألست كذلك؟؟ تكلم واعترف فذلك أفضل لك.

بومباي : في الواقع يا سيدي، إنني إنسان بائس يريد العيش.

ايسكالوس : أتعيش بالعمل قواداً يا بومباي؟ ما رأيك في هذه المهنة يا بومباي، هل هي مهنة مشروعة؟

بومباي : إذا كان القانون يسمح بها.

ايسكالوس : ولكن القانون لن يسمح بها، يا بومباي ولن تسمح في فيينا.

بومباي : هل تعني فخامتكم، أن نسلب الذكورة والأنوثة من شباب المدينة.

ايسكالوس : كلا يا بومباي.

بومباي : في الحقيقة يا سيدي إنهم في رأيي المتواضع، سوف يعمدون إلى ذلك، وفي رأيي أن حضرتكم لو سننتم قانوناً ضد المومسات والبلطجية، فلن يهمك القوادون.

ايسكالوس : إن هناك قوانين حازمة ستنفذ، لن يكون من جرائها سوى الشنق وقطع الرؤوس.

بومباي : إذا قطعت رأس كل من يقترف هذه الجريمة أو

شنقته فإنك ستجد نفسك بعد عشر سنوات مضطراً لأن تدفع عمولة لمن يقدم لك المزيد من الرؤوس، وإذا عُمل لهذا القانون في فيينا فسوف استأجر أجمل بيت فيها بثلاثة بنسات للجناح، وإذا طال عمرك ورأيت هذا فتذكر بأن بومباي قد سبق أن أشار إليه . .

ايسكالوس : شكراً لك يا بومباي اللطيف، ومكافأة لنبوءتك استمع إليّ، أنصحك ألا تجعلني أراك مرة أخرى، لأي شكوى مهما كان شأنها، نعم، ولا حتى بسبب سكناك حيث أنت، فإذا حدث ورأيتك فإني سأضربك حتى عقر دارك وأثبت لك أنني قاسٍ كقيصر، وبصراحة سآمر بضربك بالسياط، وعليه، انصرف الآن.

بومباي : شكراً لفخامتك على هذه النصيحة الطيبة (جانباً) ولكني سأعمل بها حسب طبيعتي وحظي. تضربني بالسياط؟ أجل، أجل، لو ألهب الحوذي حصانه بالسياط فلن يجبر الفؤاد الباسل على ترك مهنته (يخرج). .

ايسكالوس : تعالَ أيها السيد، ايلبوي، تعالَ أيها السيد الشرطي، كم مضى من الوقت على عملك كشرطي؟

ايلبوي : سبعة أعوام ونصف يا سيدي.

ايسكالوس : لما يظهر منك من خفة حركة في العمل فقد خيّل إليّ بأنك قضيت فيه وقتاً طويلاً من الزمن، تقول إنه سبعة أعوام؟

ايلبوي : ونصف يا سيدي.

ايسكالوس : لقد أجهدك ذلك جهداً كبيراً. . فهم حين يكلفونك بهذا العمل سنين طويلة يسيئون إليك ألا يوجد في فرقتك من يستطيع أن يقوم بالخدمة.

ايلبوي : في الحقيقة يا سيدي،قليلون هم الذين عندهم خبرة في هذا الميدان، وهم حين يقع عليهم الاختيار يفضلون أن أعفو عنهم وأنا أقوم ذلك لأحصل على شيء من المال، فأقوم بكل الأعمال.

ايسكالوس : عليك إذاً أن تقدم لي كشفاً بأسماء ستة أو سبعة رجال ممن يتميزون بالكفاءة في دائرة فرقتك.

ايلبوي : أجيء بهم إلى منزل فخامتكم يا سيدي؟

ايسكالوس : إلى داري انصرف، ترى كم الساعة؟

القاضي : الحادية عشرة يا سيدي.

ايسكالوس : أتمنى مرافقتي إلى داري لنتناول الغداء معاً.

القاضي : بكل احترام أشكرك.

ايسكالوس : كم أنا حزين لوفاة كلوديو ولكن ما من مفر.

القاضي : إن لورد انجيلو إنسان جلف.

ايسكالوس : إن ذلك لشيء لا بد منه. فهناك أشياء ظاهرها الرحمة، إن ذلك لشيء وهي في الواقع ليست كذلك. وما زال العفو هو الشفيع لمعصية أخرى. فيا لك من تعس يا كلوديو، ما من مفر من ذلك. تعال يا سيدي (يخرجون). . .

المشهد الثاني

(ممر يؤدي إلى ذات القاعة السابقة)

(يدخل آمر السجن وتابع)

التابع : إنه يستمع لقضية وسيحضر في الحال سأبلغه عنك.

الآمر : آمل أن تقوم بذلك (يخرج التابع) سأعلم ما رغبته، لربما يراجع نفسه، كأنه قد اقترف الإثم بين أحلام جميع البشر، على اختلاف طبقاتهم، في سني حياتهم يعبون من هذه الرذيلة وهو يموت بسببها.

(يدخل انجيلو)

انجيلو : والآن، ماذا لديك أيها الآمر؟

الآمر : أتود أن يموت كلوديو غداً؟

انجيلو : ألم أنبئك بذلك؟ أليس لديك أمر؟ فلم تتساءل ثانية؟.

الآمر : مخافة الاستعجال! فلطالما ـ بعد تصويبك ـ عرفت قضاة يصيبهم الندم بعد تنفيذ الحكم.

انجيلو : دعني، فهذا شأني؟ أما بالنسبة إليك فلتقم بواجبك، أو تتخل عن منصبك وأعفيك منه.

الأمر : عفواً يا صاحب الفخامة، ماذا ستفعل يا سيدي بجوليت الحزينة؟ لقد أوشكت على الوضع.

انجيلو : تخلص منها وانقلها بسرعة إلى مكان أفضل من هذا.

(يدخل تابع)

التابع : لقد أتت شقيقة الرجل الذي قضي بإعدامه وهي ترغب بمقابلتك.

انجيلو : هل له شقيقة؟

الأمر : نعم يا سيدي، فتاة طاهرة جداً ستصبح راهبة عما قريب، إن لم يكن قد أصبحت.

انجيلو : حسناً ائذن لها بالدخول (يخرج التابع) ولتتول أمر إبعاد المومس ولتوفر لها الضروريات دون تبذير وسيصدر أمر بذلك. (يدخل ليسيو وأيزابيل).

الأمر : حفظكم الله. (يهم بالخروج).

انجيلو : ابعد قليلاً. (إلى إيزابيل) مرحباً، ما مرادك؟

ايزابيل : أنا فتاة منكوبة جئت أحتمي بنبلكم فأرجو أن تستمعوا لي.

انجيلو : حسناً، ما هي شكواك؟

ايزابيل : هناك معصية شدّ ما آنف منها ولكم أود أن تقضي عليها يد العدالة، معصية لا أقدر على

الدفاع عنها ولكن عليّ أن أقوم بذلك.

أنجيلو : حسناً، ما القضية؟

ايزابيل : لي شقيق حكم عليه بالإعدام وإنني أطلب منك القضاء على خطئه وتعفيه هو.

الآمر : (جانباً) لقد نفحتك السماء فتنة مثيرة.

انجيلو : احكم على الخطأ وليس مرتكبه؟ من الطبيعي أن يحكم على الخطأ قبل ارتكابه فكأن وظيفتي إدانة الأخطاء التي سبق للقانون الحكم فيها، وأطلق الفاعل.

ايزابيل : ما أعدل القانون وما أقساه: إذن أصبح شقيقي في خبر كان، حفظكم الله. (منصرفة).

ليسيو : (جانباً إلى إيزابيل) لا تقنطي بهذه السرعة، تكلمي إليه مرة ثانية، توسلي إليه، اركعي أمامه، تمسكي بأذيال ردائه. إنك باردة جداً، لو كنت بحاجة لدبوس لما طلبته بلسان أكثر لطفاً. ألحّي عليه.

ايزابيل : ألا بد من موت شقيقي؟

انجيلو : لا مفر يا فتاتي.

ايزابيل : بلى، أظن أنه بإمكانك العفو عنه ولن تأسى السماء أو الإنسان للرحمة.

انجيلو : لن أفعل هذا.

ايزابيل : ولكن ألا يمكن أن تقوم به لو كنت بذلك لا تؤذي أحداً، وإذا مس العطف وتراً في قلبك كما أحس نحوه.

انجيلو : لقد سبق الحكم عليه، ولم يعد مجال للرجوع.

ليسيو : (جانباً إلى إيزابيل) إنّك باردة جداً.

ايزابيل : لم يعد مجال للرجوع، لا! أنا التي أقول الكلمة وأستطيع العودة عنها، ولتكن واثقاً. أنه ما من هيبة لعلية القوم يضفيها تاج الملك أو سلطان السيف أو عصا المرشالية أو مسوح القضاء تتيح لهم قدراً يسيراً مما تجللهم به الرحمة. فلو كنت مكانه وهو مكانك لانزلقت كما انزلق، ولما كان حازماً مثلك.

انجيلو : أرجوك الانصراف.

ايزابيل : آه، لو أن السماء تمنحني جبروتك وتكون أنت ايزابيل، هل كانت الأمور تجري كما هي الآن؟ كلا.

ليسيو : (جانباً إلى إيزابيل) حسن، المسي أوتار قلبه، لقد عرفت الطريق إليه.

انجيلو : سينال شقيقك العقاب وما كلماتك إلا هباء.

ايزابيل : واأسفاه، واأسفاه.. يا للعجب، لقد كانت

أرواح البشر، جميعها، يوماً خاسرة ولكن المولى الذي إليه العقاب قد وجد مخرجاً، ماذا يكون حالك لو أنه جلَّ شأنه، وهو أساس العدالة، قضى أمره فيك وأنت كما أنت ألا فكر ملياً وستنفرج شفتاك بالرحمة كإنسان خلق من جديد.

انجيلو : اسمعي أيتها الفتاة واقنعي بأن لست أنا، ولكن القانون من يقضي بإعدام شقيقك. فلو كان من بني دمي أخاً أو ابناً لكان الحكم كما هو الآن، لا بد أن يموت غداً.

ايزابيل : غداً؟ إنّ هذا لفجائي. أطلقه، فلتطلقه: إنه لم يستعد للموت، إننا حتى في مطابخنا نذبح الطيور، التي تنضج، في المواسم! فهل نقوم بواجبنا نحو السماء باهتمام أقل مما نقوم به نحو أنفسنا الدنيئة؟ يا سيدي المحترم، تذكر هل هناك أحد من الناس مات بسبب هذه الخطيئة؟ هناك الكثيرون الذين قد اقترفوها.

ليسيو : (جانباً إلى ايزابيل) أحسنت.

انجيلو : لم يكن القانون ميتاً بل كان نائماً يومئذٍ وهذه الكثرة لم تكن لتقترف الإثم لو أن أول من خالف القانون نال عقابه، جزاء عمله، أما الآن

فالقانون يقظ يدوّن ما يحدث، وكنبي يرى في مرآة شرور مستقبلة إما وليدة أو وشيكة الولادة، فيمنع حدوثها على اختلاف درجاتها ـ بل تـوأد قبل أن تحيا.

ايزابيل : ومع ذلك، فقليلاً من العطف.

انجيلو : إني أبـدي العـطف أكثـر ممـا أستـر حين أقيم العدالة فحينذاك يشمل عطفي ورحمتي أناساً لا أعرفهم ربما كانوا ضحيـة ذنب تجاوزت عنـه. وإنني أيضـاً أبسط عطفي على من اقتـرف ذنبـاً نال القصـاص عليه حتى لا يقتـرف ذنباً غيـره. سلمي بالواقع فإن أخاك سيموت غداً.

ايزابيل : أنت أول من يصـدر هـذا الحكم وهـو أول من يعانيه، ما أحسـن أن يكون للإنسان قـوة، ولكن ما أقسى أن يستغلها كالمارد.

ليسيو : (إلى إيزابيل) كلامك بليغ.

ايزابيل : لو تمكن العظماء أن يرعـدوا مثل جـوبيتر، لمـا هـدأ جـوبيتـر إذ ان كـل مـوظف بسيط سيمـلأ السماء رعداً، لا شيء غير الرعد. أيتها السـماء الشفوقة إنك تؤثرين بـاسمك النـاري البـاتـر أن تفلقي شجـرة البلوط الصلدة لا الآسة الـرقيقة، ولكن الإنسـان، الإنسان القـاسي في جبـروتـه

التافه البغيض وجهله بما يجب أن يعرفه تماماً ـ معناه السماوي ـ يتلاعب كالقرد الساخط بالمكائد المغرية أمام الله في عليائه وهو ما قد تنوح له الملائكة، رغم أنهم، بطبيعتهم، يتضاحكون كما يفعل البشر.

ليسيو : (جانباً إلى إيزابيل) هيا، تابعي يا فتاة، سيرق قلبه. لقد بدأ يلين، إني أشعر بذلك.

الآمر : (جانباً) ليت السماء تنصرها، فتنجح معه.

ايزابيل : لا نستطيع أن نزن إخوتنا بموازيننا فقد يمزح العظماء مع القديسين، وذلك يعتبر حكمة منهم، ولو قام بذلك من هم دونهم لكان رجساً كبيراً.

ليسيو : (إلى إيزابيل) مقالة حق يا فتاة، ليتك تضربين على هذا الوتر.

ايزابيل : إذا تفوه بها القائد نعدها كلمة غضب. أما لو صدرت من الجندي فهي لغو وتأثيم.

ليسيو : (إلى إيزابيل) هل تدربت على هذا الأسلوب؟ المزيد منه.

انجيلو : لماذا تقولين هذا لي على هذا الشكل؟.

ايزابيل : لأن صاحب السلطان، رغم أنه كغيره، يذنب إلا أن في سلطانه دواء يغطي به إثمه، توجه

إلى فؤادك واقـرع عليه واسـألـه ليفشي لـك مـا يعرف من ذنـب مشـابه بجـرم شقيقي، فإذا مـا اعترف بنزعة طبيعية للخطيئة كنزعة شقيقي فـلا تجعله يهمس بخاطر على لسـانك يـودي بحياة شقيقي.

انجيلو : (جـانباً) إن في حـديثها لمغـزى يثير عـواطفي - وداعاً. (منصرفاً).

ايزابيل : اسمــع كيـف سـأرشــوك، ارجـع أيهــا السيـد الرقيق.

انجيلو : (يستدير) ماذا؟ ترشيني.

ايزابيل : نعم، بهدايا عظيمة حتى ان السمـاء لتتقاسمهـا معك.

ليسيو : لقد أوقفت كل شيء آخر.

الآمر : لا بمثاقيل الذهب التافهة أو الأحجار النفيسـة، التي تنـوف قيمتها أو تنقص طبقـاً للأهـواء، بل بضراعات صـادقة تصعـد إلى السماء وتـدخلها قبـل إطـلالـة الصبـاح، ضـراعـات من نفـوس طاهرة، من عذارى دأبن على الصوم، كـرّسن أرواحهن لله.

ليسيو : (إلى إيـزابيل) حسن. كـل شيء يسير على مـا يرام، لنذهب.

ايزابيل : لتحفظ السماء شرفكم.

انجيلو : (جانباً) آمين فإني في طريقي إلى الغـواية حيث تتعثر الابتهالات.

ايزابيل : في أية ساعة يمكن أن أمثل أمام سيادتكم غداً؟

انجيلو : في أي وقت قبل الظهر.

ايزابيل : حفظكم الله .(يخرج الجميع ما عدا انجيلو).

انجيلو : منـك.. وممـا أنت عليـه من فضـيلة. لـيت شعري، ما يكون هذا؟، ما هذا؟ أمنها الإثم أم مني؟ من أعظم خطيئة! مصدر الغواية أم الواقع فيها؟ ليت أنها لم تكن هي التي أغـوت بل أنـا وقد تمددت تحت أشعة الشمس بجوار بنفسجة أقـوم بعمل كـالجيفة لا كـالزهـرة فأفسـد والجوّ مناسب للإزهار، هل صحيح أن العفة لها سحر في نفـوسنا أفعـل من الخفة في المـرأة؟ فنحن وقـد ضيعنـا أرضـاً كثيـرة نـرغب في تـدميـر المحـراب المقـدّس لنقيم على أرضـه معقـلاً لشهـواتنـا؟ يـا للعـار والـذل مـا أنت فـاعـل يـا أنجيلو؟ أتغريك بها الصفات التي جعلت منهـا امرأة فاضلة أوه، فليعش شقيقهـا: فاللصـوص لهم السـلطة بمـا يسـرقـون حين ينقلب القضـاة أنفسهم لصـوصـاً، تـرى، أهـو الحب الـذي

يناديني للسماع مرة أخرى؟ وأشبع من عينيها؟ ما هذا الذي أحلم به؟ يا لك من عدو ماكر خبيث، لكي توقع قديساً في فخاخك تجعل له من القديسين طعماً لشراكك، يا لها من مظلمة تلك الغواية التي تدفعنا إلى الرذيلة حباً في الفضيلة، لم تستطع مومس بما لها من قوة، مزدوجة، ألاعيبها وطبيعتها أن تثير حواسي مرة، ولكن هذه البتول الفاضلة توقعني في أسرها تماماً، لطالما كنت أبتسم حين يقع الرجال في الحب وأعجب كيف. . .

المشهد الثالث

(سجن)

(يدخل الدوق متنكراً في ثياب راهب، ثم الآمر)

الدوق : سلام أيها الآمر ـ هكذا، يظهر لي.

الآمر : أنا الآمر، ما مطلبك أيها الراهب الطيب؟

الدوق : دفعني حبّي لخير الناس وما توجبه عليّ طبيعة مركزي الديني فقدمت لأتفقد النفوس الحزينة هنا في السجن، فائذن لي ـ بما للرهبان من حق ـ أن أخلو بهم وأطلع على طبيعة جرائمهم حتى أنصحهم بما يجب.

الآمر : إني مستعد لأن أفعل أكثر من ذلك إذا لزم الأمر.. (تدخل جوليت) انظر! هذه القادمة سيدة رقيقة من أقاربي قد أخطأت في صباها فلطخت سمعتها، وأدين صاحبها. إنه شاب كان أحرى به أن يحيا ويخطىء مرة أخرى من أن يموت بسبب هذه.

الدوق : متى ينفذ الحكم؟

الآمر : غداً، كما أعتقد (إلى جوليت) لقد هيأت لك المكان، انتظري برهة وسأرافقك إليه.

الدوق : أنادمة أيتها الجميلة على إثمك الذي تحملين ثمرته؟

جوليت : نعم، وصابرة رغماً عني.

الدوق : سأعلمك كيف تحاسبين ضميرك وتمتحنين توبتك، هل هي توبة أكيدة، أم جوفاء مقنّعة.

جوليت : سأتعلم ذلك بكل سرور.

الدوق : هل تحبين الرجل الذي افتأت عليك.

جوليت : أجل، بقدر ما أحب المرأة التي افتأتت عليه.

الدوق : إنكما اشتركتما بالخطيئة؟

جوليت : نعم.

الدوق : فذنبك أكبر من ذنبه.

جوليت : أعترف بذلك وأندم عليه أيها الأب.

الدوق : هذا حسن يا ابنتي، ولكن يخشى أن تكون توبتك نتيجة العار الذي لحق بك وهذا ندم ينبع من الأنانية وليس ابتغاء وجه الله، ويدل على أن عبادتنا لله ليس حباً فيه ولكن خوفاً منه.

جوليت : إني تائبة عن ذنبي لكونه إثماً وأتقبل العار راضية.

الدوق : هكذا ينبغي أن يكون التفكير الصحيح، وسيلقى صاحبك، حسبما أُخبرت، مصيره

بـالغد وسـأقوم بتـرشيـده. لتـرافقـك نعمـة الله وبركته. (يخرج).

جوليت : غـداً يجب أن يمـوت!.. أيهـا الحب الجـارح تـطيـل لي الحيـاة، مـا الـراحـة فيهـا إلا رعب مميت!!

الأمر : إن هذا ليستدر العطف. (يخرجون).

المشهد الرابع

(ممر يؤدي إلى قاعة المحكمة)

(يدخل انجيلو)

انجيلو : عندما أصلي وأفكر؛ أقوم بذلك لأهداف متضادة، الكلمات الجوفاء تطال السماء بينما عقلي، الذي لا ينصت إلى لساني، يلقى مراسيه عند إيزابيل، فالسماء في فمي كأنها مضغة اجترار ليس إلا، ولكن ألقى في قلبي الإثم قوياً متورماً. إن الحالة التي اعتدتها ـ كأي شيء حسن يطول الوقت عليه قد أصبحت مملة ، نعم، إن وقاري الذي أعتز به ـ لعل أحداً لا يستمع إليَّ ـ لو تمكنت لأبدلته بريش الخيلاء يذروه الهواء هباء وزهواً، إيه أيها المركز، أيتها المظاهر، لكم انتزعت برونقك ولباسك الخوف من البلهاء وأسرت العقلاء ببريقك المزيف. أيها الدم، إنك دم ألا فلتسطروا لقب «الملاك الصالح» فوق قرن إبليس فليس القرن شارة لإبليس (طرقة على الباب) من هذا. . من بالباب؟

(يدخل تابع)

التابع : فتاة تسمى ايزابيل، راهبة تريد مواجهتك.

انجيلو : أرشدها. (يخرج التابع) أيتها السماء لم يتدفق الدم في قلبي على هذا النحو فيعجزه عن وظيفته ويسلب أعضائي قدرتها؟ كذا تعمل الحشود الحمقاء بمن يقع مغمى عليه فإنهم يتدافعون لإسعافه، فيمنعون الهواء الذي ينعشه ليفيق، بل إن العامة حين تحيى مليكها تدع أعمالها، وتحيط به في جيشان دميم حيث يظهر حبهم الفج بمظهر الاعتداء.

(تدخل ايزابيل)

كيف حالك الآن ايتها البتول الجميلة.

ايزابيل : أتيت لأعرف ما يروق لك.

انجيلو : (جانباً) يعجبني أكثر لو أنك تدركينه بدل السؤال عنه ـ لا بد من موت أخيك.

ايزابيل : ومع ذلك فلتحفظك السماء.

انجيلو : على أنه يمكن أن يحيا لفترة ربما هي مثل الفترة التي أحياها أنا أو أنت، ومع ذلك لا بد من الموت.

ايزابيل : تبعاً لحكمك؟

انجيلو : نعم.

ايزابيل : متى، وحق الرب أخبرني، حتى يمكنه فيما

تبقّى له من عمر طال أو قصر، أن يدرب نفسه حتى لا يصيبها اليأس.

انجيلو : ما هذا؟ ألا خسئت تلك المعاصي الذميمة، لو يجوز الغفران لمن يختلس من الطبيعة امرأً خلق فعلاً لجاز لنا الغفران لمن يمسخون صورة الله ـ بانغماسهم في ملذاتهم الدنيئة ـ ولو قدّر لنا أن ننتزع بالباطل، حياة أصيلة لقدّر لنا أن ندفع معدناً إلى آلة محرمة لنصنع حياة مزيفة.

ايزابيل : هذه مشيئة السماء، لا الأرض.

انجيلو : أهذا ما تقولين؟ إذن سأفحمك بسؤال عجول: هل تفضلين، أن ينتزع القانون بالعدل حياة شقيقك الآن، أو أنك تفتديه بتدنيس جسدك بمثل الرذيلة اللذيذة التي دنس بها فتاته.

ايزابيل : أؤكد لك يا سيدي أني أفضل التضحية بجسدي لا بروحي.

انجيلو : إنني لا أتكلم عن روحك، فالإثم بالإكراه يدوَّن لمجرد الإحصاء وليس لمجرد المحاسبة.

ايزابيل : كيف تقول ذلك؟

انجيلو : كلا، لن أستمر في هذا القول، لأنني أقدر على توكيد ما أقول، ردّي على الآتي: لقد نطقت وأنا أردد القانون المسجَّل ـ بحكم الإعدام على

شقيقـك: فهل هنـاك من إثم يُفعل على سبيـل البرّ لإنقاذ حياة ذاك الشقيق؟

ايزابيل : لو أعجبك فعل ذلك فسأبذل روحي لإنقاذه فما ذلك بإثم بل عاطفة وحنان.

انجيلو : ولو أعجبك ـ بارتكابك الإثم أن تُعدي روحك ـ للمـوت لاستـوى الإثـم والبـر عـلى كفـتيـن متعادلتين قـدراً.

ايزابيل : إذا كان طلب إنقاذ حيـاته بـإثم فإني أبتهـل إلى السماء للسماح لي أن أحمـل وزره، وإن أجبت طلبي ودعينـا ذلك إثمـاً، فسأجعـل ابتهالي في الصبـاح بإضـافة هـذا الإثم إلى قائمـة آثامي. وأنت بريء منه.

انجيلو : لـك أن تقـولي هـذا، ولكن اسمعيني، إنـك ترمين إلى غير مـا أرمي إليه، فـأنت إما غبيـة أو تتظاهرين ـ في دهـاء ـ بذلـك، وهذا لا يحسن بك.

ايزابيل : فلتحسبني غبيـة ولا أصلح لشيء ولتـعـرف ـ متعطفاً ـ أني لست أحسن من ذلك.

انجيلو : وهكذا تريد النباهـة أن تظهـر في أوج إشراقهـا وهي تغض من نفسهـا، كتلك الأقنعـة السـوداء التي تخفي جمالاً يضاعف الجمال البادي عشر

أضعاف ولكن انتبهي لما سأقوله، وسأكـون أكثر وضوحاً. لا بد أن يموت شقيقك.

ايزابيل : وبعد،

انجيلو : وذنبـه ـ كما هـو بادٍ ـ نص القـانون على عقـابه بالإعدام.

ايزابيل : صحيح.

انجيلو : هبي أنـه لـم تكن هنـاك وسيلة أخـرى لإنقـاذه، وإنني لا أقـر أيـة من تلك الـوسـائـل، ولكن أفتـرض جدلاً ـ وأنت أختـه ـ نفسـك وجدت مطمحاً يصبو إليه ذو مكانة لدى القاضي أو صاحب مـركز عـظيم يسمح لـه إنقـاذ شقيقـك من قيـود قانون ملزم للجميع، وأنه مـا من وسيلة معروفـة تنقـذه إلا إذا عـرّضت خبـايـا جســدك لهـذا الطامح، وإلا فليس لـك إلا أن تدعيـه لمصيره التعس فماذا أنت فاعلة؟

ايزابيل : لا فـرق إن كنتُ أنـا أو شقيقي، فلو حكم عليّ بالموت فأهلاً بالسياط تجرّحني فأحسبها جواهـر أتـزين بهـا، وإني أقـدم نفسي للردى وأحسبـه فـراشاً وثيـراً طالمـا اشتقت إليه، قبـل أن أقدم جسدي لهذا العار.

انجيلو : إذن لا مناص أن يموت شقيقك.

ايزابيل : وهـذا أهون الشـرّين فالأفضـل أن يموت شقيق في لحظة خاطفـة من أن تفديـه شقيقته فتمـوت أبداً.

انجيلو : ألا تكـوني بقسوتـك هذه كـالحكم الذي تقفين ضده؟

ايزابيل : إن الفدية المعيبة، والصفح بـالإرادة من أصلين مختلفين، فالرحمة المشروعة لا تتطلب الفـداء الشائن.

انجيلو : منـذ قليـل كنت تصـورين القـانـون كـطاغيـة ورجحت أن تكـون خـطيئـة أخيـك لهـواً وليس عاراً.

ايزابيل : آه، عفواً يا سيدي، ما يحدث أننا كثيـراً، كـي نحقق ما نرغب نتكلم بمـا لا نعني فإننـا نطلب العذر لشيء نمقته وذلك لصالح عزيز لنا.

انجيلو : كلنا بشر ضعفاء.

ايزابيل : فلتدع شقيقي للموت. فلو لم يكن من يـرتكب الجريمة سواه فامضِ في تنفيذ حكمك.

انجيلو : بلى، والنساء ضعيفات أيضاً.

ايزابيل : أجل، كالمرايا، التي ينظـرن إليها إلى أنفسهن هشة كالأطيـاف التي تعكسها النسـاء؟ ـ النجدة أيتهـا السـمـاء فـالـرجـال يحـطون من خليقتهم

باستغلالهن، بلى، فلتكرر لمرات عشر اننا ضعيفات فنحن حبيسات كقسمات وجوهنا، وينطلي علينا ما يصوره التمويه.

انجيلو : أفهم ذلك جيداً بما عرفته عن بنات جنسك وبما أعتقده فلسنا من القوة بحيث لا تهز الذنوب ذاتيتنا، فإني أتشجع بكلماتك أنت، فلتكوني امرأة، كما أنتِ إذ لو لم تكوني كذلك فلست بشيء، وإن كنتِ، كما يظهر واضحاً من محيّاكِ، فاثبتي هذا الآن وتحليّ بصفات المرأة الحقيقية.

ايزابيل : ليس لدي سوى لسان واحد يا سيدي اللطيف، فاسمح لي أرجوك طالبة أن تحدثني بلهجتك الأولى.

انجيلو : افهمي بصراحة أني أحبك.

ايزابيل : وكذا أحب شقيقي جوليت وأنت تقول انه سيموت جزاء حبّه.

انجيلو : لن يموت يا إيزابيل، لو أنك منحتني الحب.

ايزابيل : أفهم أنك تسمح لنفسك بالتحرير من أغلال الفضيلة فتظهر بهيئة آثم يغاير ما أنت عليه لتختبر سواك من الناس.

انجيلو : أقسم بشرفي أني أعني ما أقول.

ايزابيل : يا لك، إنه شرف هزيل لا يشجع على الاطمئنان له وقصد ممعن في الرذيلة، يا للرياء، يا للرياء سأفضحك، يا انجيلو، انتظر ذلك، سطّر أمراً بالصفح عن شقيقي وإلا فإني سأعلن للناس بحنجرة مشرئبة أي رجل أنت.

انجيلو : من ذا الذي يصدقك يا ايزابيل؟ إن اسمي الذي لمْ يلطخ والحياة الجافة التي أحياها والشواهد التي هي ضدك، ومركزي في الدولة ستطغى جميعها على ادعائك طغياناً تختنق معه كلماتك في حلقك وتوصمين بجريمة التشهير. لقد بدأت. والحين فلأطلقن لشهواتي الجامحة العنان. اخضعي لشهواتي الجامحة ولا تضيعي الوقت في الحياء والخجل اللذين يبعثان الرغبة أكثر مما يكتمانها. افتدي شقيقك بإخضاع جسدك لرغبتي وإلا فإنه ليس سيذوق الموت فقط وإنما ستحيل قسوتك موته عذاباً لا يريم. وافيني بردّك في الغد وإلا فإن الإحساس الذي يمتلك زمامي الآن سيدفعني إلى البطش به، وأما أنت فمهما تكلمت فإن باطلي سيزهق حقك.

ايزابيل : لمن أتقدم بالشكوى؟ لو أني أعلنت هذا من ذا

الـذي يصدقني؟ إيـه أيتها الأفـواه القـاتلة إنـك تحملين داخلك لساناً هو في الوقت نفسه لسان إدانة ولسان صفح ينحني أمامها القانـون وتفصّل الحق والباطـل وفقـاً لشهواتهـا وتبعاً لهـواهـا. سـأقصـد إلى شقيقي. ومـع أن زلّتـه كـانت استجابة لنوازع الجسد غير أنه له من سمو الشرف مـا يجعله أن يقـدم عشرين رأساً لو كان لـه هذا العدد إلى عشرين نطع. إنه كان يقـدم هذه الرؤوس جميعها قبل أن تبذل شقيقتـه جسدهـا لمثل هذا الـرجس البشع والآن فلتحيـا ايزابيـل طـاهـرة وليمت شقيقي فعفتي فـوق شقيقـي ولكنني سأعرّفـه بما طلب انجيلو واجعـل فكره مستعـداً للموت لتخلد روحه إلى الهدوء.

(يخرجان)

المشهد الأول «السجن»

(يدخل الدوق متنكراً وآمر السجن) مع (كلوديو)

الدوق : وهكذا تأمل في الصفح من انجيلو؟

كلوديو : ليس من دواء، أمام البؤساء، غير أن يتعلقوا بأهداب الأمل وإنني متعلق بالحياة كما أني على استعداد للموت.

الدوق : فلتحزم أمرك على الموت، وبهذا يصبح كل من الموت والحياة أعذب طعماً، وليكن هذا تفكيرك في الحياة. وإذا كان لا بد من فقدانك فإنني لمضيع شيئاً لا يحتفظ به سوى البلهاء. فما أنت إلا كريشة تتقاذفها الرياح التي تصطرع في أعالي الجو. تعذبين كل ساعة الجسد الذي يحويك، ما أنت إلا دمية في يد الموت تعملين جاهدة للهروب منه، وإذا أنت تتقدمين نحوه، فلست من النبل في شيء، فكل ما أنت عليه رفاهية مؤسس على الضعة، وليس بك من شهامة قط فأنت تخافين أية وخزة ناعمة من حشرة صغيرة، أقصى ما تعطين من راحة هو

النوم، تسعين طلباً له ومع ذلك تخافين المـوت تماماً وهو ليس أكثر من النـوم، إن مخبرك غير مـظهرك فجسـدك آلاف مؤلفة من ذرات خلقت من التـراب، وأنت لا تـدرين معنى السعـادة، تـظلين تكـدحين لتفـوزي بمـا ليس في قبضـة يـدك، وتتنـاسين مـا عنـدك، لست بشـابـة، فمـزاجـك حـوّل قلّب كـدورة القمـر، ومهمـا أصبت من غنىً فأنتِ فقيرة فكأنك دابة تقوس، ظهرها بالأحمال تحملين ثروتك الثقيلة إلى مسافة بعيدة ثم يفرغ الموت جرابك، ليس لك من صديق فأولادك الذين هم نطفة خرجت من أصلابك يلعنون النقرس والزكام والقوباء لأنها لا تسرع بنهـايتك، ليس لـك صبـا ولا كهـولة كـإغفـاءة القيلولة فيها يحلم الإنسان بهما، فصبـاك الذي يتشدقون به يصيبه التلف ويـطلب الإحسان من العجائز المقعدين، وحين تهرمين وتصيبين غنى تضعف فيك الحمية والعـاطفة والقـوة والجمال التي تصنـع من غنـاك بهجـة، فـأي شيء هنـا يمكن أن نسميه حياة، ؟ ورغم ذلك فهذه الحياة تخبىء في جعبتها منايا لا عدد لها، ورغم ذلك

نخاف الموت، وهو الذي يقضي على كل هذه المتناقضات.

كلوديو : شكراً لك وإني لأطلب الموت وأنا أفتش عن الحياة على حين أني أجد الحياة حين أفتش عن الموت.

ايزابيل : (من الداخل) سلاماً ونعمة، ورفقة طيبة.

الآمر : من هناك؟ تفضل، طارق خليق بالترحيب.

الدوق : يا سيدي العزيز، سأزوركم مرة ثانية قريباً.

كلوديو : شكراً لك يا سيدي القديس.

(تدخل ايزابيل)

ايزابيل : لي كلمة أو كلمتان مع كلوديو.

الآمر : إننا نرحب بك أعظم ترحيب، انظر يا سيدي هذه شقيقتك.

الدوق : لي معك كلمة أيها الآمر.

الآمر : قدر ما ترغبين من الكلمات.

الدوق : أرشدني إلى حيث أسمعهما دون أن أشاهد.

(يخرج الدوق وآمر السجن)

كلوديو : والآن يا اختاه، هل من تعزية.

ايزابيل : نعم، تعزية كسائر أنواع العزاء، غاية في الجمال، غاية في الجمال حقاً! للورد أنجيلو مصالح في السماء وقد قرر أن يرسلك سفيراً

عـاجْلاً حيث تصبح ممثلاً لـه مقيمـاً فلتستعـد للقيـام بعملك على جنـاح السـرعـة ولتبـدأ في رحلتك غداً.

كلوديو : أما من مخرج؟

ايزابيل : كـلا، إلا اذا قبلنا، من أجـل أن ننقـذ رأسـاً أن نشطر قلباً إلى شطرين.

كلويو : ولكن أما من مخرج بتاتاً؟

ايزابيل : أجل يا أخي، يمكن أن تحيا فإن لـدى القاضي رحمـة الأبـالسـة ولكنـك تقيّـد بـأغــلال حتى الموت.

كلوديو : سجن مدى الحياة؟

ايزابيل : نعم سجن دائم، احتجاز، فمع أن الدنيا تنبسط أمامك سهولاً غير أنك تكبل إلى هم مقيم.

كلوديو : ولكن على أي شكل؟

ايزابيل : كأنما ـ لو أنك تقبّلت ذلـك ـ تسلخ شرفـك من جذعك وتترك نفسك عاريـاً منه.

كلوديو : ألا تعلميني بالمقصود.

ايزابيل : إني لأخافك يا كلوديو، وإني لأرتجف خوف أن تتعلق بحياة محمومـة، وترغب ببضـع ساعـات ست أو سبـع على شـرف دائم. أتجـرؤ على الموت. إن الشعور بالموت أفظع ما يكـون في

انتظاره. والخنفساء المسكينة التي نطأها بالاقدام تشعر بألم جسدي يوازي في قوته ألم العملاق حين يموت.

كلوديو : لِمَ تهزئين بي هكذا؟ أتعتقدين أن الكلام الرقيق الموشى هو الذي يهدىء النفس فإذا كان لا مناص من أن أموت فإني سأتهيأ إلى ظلمة القبر كما أتهيأ إلى عروس أضمها بين ذراعيّ.

ايزابيل : كلام جدير بأخي حقاً، لكأني به صوتاً ينطلق من قبر والدي. نعم، لا بد أن تموت. وإنك لأشرف من أن تعتز بحياة عن طريق سافل دنيء، إن نائب الدوق، ذاك القديس في مظهره وسيمائه وحديثه المتزن يقتلع نزوات الشباب في براعمها ويخمد الحماقات في جحرها كما يفعل الصقر بفراخ الطير، ولو قدر للدنس الذي يكمن داخله أن ينطلق لبدا كمباءة عميقة عمق الجحيم.

كلوديو : انجيلو، ذاك الرجل المستقيم!

ايزابيل : إنها علامة جهنم الخبيثة تنسدل على جسد استحق اللعنة لتغطيه بحواش مطرزة بالمواعظ، ما رأيك يا كلوديو؟ لو كنت أسلمت له عفتي لربما يطلق سراحك.

كلوديو : يا للسماء! مستحيل!

ايزابيل : نعم، سيهبك الحياة مقابل لهذه المعصية الدنيئة للتمادى في غوايتك، هذه الليلة سيكون ردي على ما أمقت الكلام عنه وإلا فإنك غداً تموت.

كلوديو : لا تفعلي ذلك.

ايزابيل : آه لو أن حياتي تطلب فداء لقدمتها لخلاصك رخيصة كالدبوس.

كلوديو : شكراً يا ايزابيل الحبيبة.

ايزابيل : فلتحضّر نفسك يا كلوديو لمواجهة الموت غداً.

كلوديو : نعم ـ تدفعه أحاسيسه لأن يجدع أنف القانون بدل تطبيقه؟ ليس في الأمر ـ قطعاً ـ خطيئة أو هي الخطايا السبع القاتلة.

ايزابيل : عما تتحدث؟

كلوديو : لو أن هذه الخطيئة مقيتة وهو الذكي الحصيف أكان في سبيل نزوة عابرة يعرض نفسه لعذاب أبدي؟

ايزابيل : ماذا يقول أخي؟

كلوديو : الموت شيء رهيب.

ايزابيل : وحياة العار ذميمة.

كلوديو : أجل، ولكن أن يموت الإنسان دون أن يدري

مصيره، أن ينام ويفنى، جسداً متجمداً بارداً.
هذه المشاعر التي تنساب حيوية ونشاطاً، تصبح تراباً ممزوجاً، والروح الناعمة يجرفها عباب يتلظى، أو تستقرّ في صقع مخيف أو تقع في مهب ريح خفية تتقاذفها بعنف لا يرحم وتتطارحها في دروب لا قرار لها، أو تصبح أسوأ مصيراً من الكائنات التي تتراءى لخاطر مضطرب يتخيلها تعوي: فظاعة الحياة ومللها والشيخوخة والحرمان والسبي كل هذا جنة أمام أهوال الموت.

ايزابيل : وا لوعتاه، وا لوعتاه!

كلوديو : أختي الجميلة، امنحيني الحياة، إن إثمك الذي ستقترفينه لإنقاذ حياتي، ستجد له الطبيعة مخرجاً بحيث ينقلب فضلاً.

ايزابيل : ويحك أيها الوحش. ويحك أيها الجبان الغادر! ويحك أيها الشقي الفاسق لرجولتك؟ أتود أن تجعل من إثمي ثمناً أليس هذا ضرب من الفحشاء بين الأقرباء وتستعيد حياتك من أذيال فضيحتي، أنا أختك، أية ظنون تعبث برأسي؟ معاذ الله أن تكون والدتي قد عبثت بشرف والدي ماذا أقول، فلا يمكن أن يكون

دم والـدي قـد لـوّن هـذه المعصيـة الملتـويــة الضـارية سـأهجرك. فلتمت، لتهلك، لـو كان جثيـاني ينقـذك من مصيـرك المحتّم، لجثـوت للصــلاة ألف مـرة ومــرة، أرجــو الله أن تلقى حتفــك دون أن أنبس بكلمـة واحــدة لإنقــاذ رأسك.

كلوديو : اسمعيني يا ايزابيل.

ايزابيل : يا للعار، يا للعار، يا للعار، مـا كانت خـطيئتك عفوية ولكنها متأصلة فيك، والرأفـة بك تحثـك على الفسق فالأجدر لـك أن تمـوت بسـرعـة. (مبتعدة).

كلوديو : استمعي إليّ يا إيزابيل.

الدوق : (يتقـدم) كلمـة ايتهـا الـراهبـة الشـابـة، كلمـة واحدة.

ايزابيل : ماذا تريد؟

الدوق : أوتسمحين لي بالتكلم معك لبـرهة وجيـزة؟ وما أسعى إليه سيعود بالخير عليك.

ايزابيل : لا، لا وقت لـدي، فـإن عنـدي أمـوراً مهمـة، ولكني سأنتظرك لبرهة.

(تتراجع إلى الخلف وتنتظر)

الدوق : لقد استرقت السمع إلى ما دار بينك يا ولـدي

وبين أختك من كلام، ما كان أنجيلو ينوي العبث بها، ولكنه أراد اختبار معدن فضيلتها ليس إلا، وذلك لامتحان قدرته على إدراك طبائع البشر. وهي، بما تتصف به من الأصالة والشرف قد صدته عنها، وهذا مما أثلج صدره للغاية، أنا قسيس الاعتراف لانجيلو، وأعرف أن ذلك حدث بالفعل، لذا عليك أن تستعد للموت ولا تدع الآمال الواهية تفتّ فيما وطّدت النفس عليه، غداً غداً لا بد أن تلقى الموت فلتركع على ركبتيك خاشعاً لله ولتكن على أهبة الاستعداد.

كلوديو : لو تسمح لي أن أطلب الغفران من أختي، إني لأعاف الحياة حتى أصبحت أتلمس وسيلة للخلاص منها.

الدوق : انتظرني قريباً من هذا المكان. إلى اللقاء (يخرج كلوديو) أيها الآمر لي كلمة معك.

الآمر : (يتقدم) ماذا تريد أيها الأب؟

الدوق : انصرف ودعني هنيهة مع هذه الفتاة، وانسجاماً مع لباسي فلا أنوي بها شراً وهي برفقتي.

الآمر : حالاً (يخرج مع كلوديو. تتقدم ايزابيل إلى الأمام)

الدوق : إن تلك اليد التي نفحتك الجمال قد وهبتك الخير أيضاً، فإن افتقد الخير الجمال يجعل من الجمال قليل الخير، وإن فضيلة خلقك سوف تحفظ شكلها المادي جميلاً أبد الدهر، وقد انتبهت إلى محاولة أنجيلو التهجم عليك، وإن أمثلة الضعف كثيرة لرجال انزلقوا في مثل ما انزلق فيه هو لذُهلت لانجيلو. ماذا ستفعلين لترضي نائب الدوق هذا وتخلصي شقيقك؟.

ايزابيل : سأذهب الآن لأبلغه قراري النهائي، وأفضل الموت لشقيقي وفقاً لما سنه القانون على أن يكون لي ابن غير شرعي. ولكن يا للأسف إلى أي مدى قد انخدع الدوق في انجيلو، لو عاد وتمكنت من محادثته فسوف أتكلم ملء فمي وأفضح حكمه.

الدوق : لا غبار على هذا، ومع ذلك سيظهر كل هذا ـ تكذيباً لاتهامك ـ بأنه كان يختبرك فقط وعليه، فاحرصي على أن يبقى ما أشير عليك به سرّاً، فقد تفتّق ذهني لعمل الخير لحل المشكلة، إني واثق كثيراً بأنك على استعداد أن تسدي ـ وأنت متمسكة بعفتك ـ صنيعاً لسيدة بائسة هي أهل لكل خير، وقد

افتُثت عليها وبهذا تخلصين شقيقك مما هو فيه دون أن تسيئي لشخصك اللطيف، ولسوف يرتاح الدوق الغائب كل الراحة لو ترامى إلى سمعه، في يوم ما، هذا الأمر.

ايزابيل : أرجو أن تزيدني إيضاحاً، فإني راغبة في فعل أي شيء لا يمسّ عفتي بسوء.

الدوق : ميزة الفضيلة الجرأة والعفة لا تعرف الخوف، ألم تسمعي بمريانة، شقيقة الجندي العظيم فردريك الذي مات غرقاً؟

ايزابيل : سمعت عن هذه السيدة، وهي ذات سمعة طيبة.

الدوق : كانت ستتزوج انجيلو هذا، بعد أن عقد قرانهما، وحُدِّد موعد الزواج، وبين كتابة العقد وموعد القران تحطمت بأخيها سفينة في عرض البحر، وكان معه في السفينة نفسها مهر أخته، وبمقدورك أن تتصوري وقع هذه الكارثة على هذه السيدة اللطيفة التعسة فقد فقدت أخاً نبيلاً ملء الأسماع، حنوناً طوال عمره في محبته لها، وبفقدانه فقدت أساس ثروتها، مهر زواجها، وكذلك خطيبها لورد انجيلو. الإنسان الجميل المنظر والمظهر.

ايزابيل : هـل يمكن أن يحدث مثـل هذا؟ هـل هجـرهـا أنجيلو؟.

الدوق : هجرها وعبراتها متدفقة، ولم يبـال، ولو بكلمـة منـه، أن يكفكف عبرة منهـا، أنكر وعـوده كلها وادعى اكتشاف ما يلوث شـرفها. وغـاية القـول أنه تركها للألـم الذي ما زالت تعـانيه من أجله، أما هو فكتمثال من الرخـام تنهمر الـدموع عليـه فتغسله دون أن يتحرك عضو فيه.

ايزابيل : ما كان أجمل الموت لو أنه أراح هـذه الفتاة من الدنيا! وأيـة حياة تلك التي سمحت لمثـل هذا الرجل أن يعيشها، ولكن ما فائدة الفتـاة من كل ذلك؟.

الدوق : إنه جرح من السهل أن تعالجيه أنت والتئامـه لا يخلّص شقيقـك فقط بـل يحميـك أيضـاً من الفضيحة.

ايزابيل : أرني كيف يا أبت.

الدوق : تلك الفتاة التي أشرنـا إليها، لا زالت عـاطفتها الأولى وهاجة، فجفاؤه الغير مبرر، والذي كـان يؤمل أن يطفىء حبها له، قد صار وكـأنه حـاجز يعتـرض طريق تيـار فيجعله أشـد قـوة وأصعب مراساً، اذهبي إلى أنجيلو وتظاهري بـالخضوع

لإرادته، وافقي على مقترحاته، لتنفيذ مآربه ولا تطلبي من ذلك ربحاً غير هذا «ألا يطول بقاؤك معه، وأن يتم ذلك والظلام مخيم والجو هادىء تماماً، وأن يتلاءم المكان مع الغرض» إذا اتفقنا على ذلك فإني ـ وهذا مقصدي ـ سأشير على تلك الفتاة الخفيفة الظل أن تكون بدلاً عنك في الموعد والمكان. فإذا كشف الأمر بعد ذلك فربما يضطر إلى تعويضها، وبهذا ينجو شقيقك، وتصان عفتك وتحظى مريانة المسكينة بمغنم بينما يظهر نائب الأمير على حقيقته. سأحضّ الفتاة كي تستعد لمحاولته هذه، فإن وافقت على التنفيذ، فالمزية المزدوجة تبرر الخديعة، فما رأيك بهذا؟

ايزابيل : إنني أوافقك لفكرتك هذه ومرتاحة إليها، وأرجو أن تسير الأمور على ما يرام.

الدوق : يتوقف نجاح الخطة على قدر تصميمك على تنفيذها، فهيّا أسرعي إلى انجيلو، وإذا دعاك هذه الليلة إلى فراشه، فعديه بالعمل على إرضائه، سأذهب الآن إلى حيّ القديس لوقا. فهناك في بيت ريفي وسط المياه تعيش مريانة

التعسة. وافيني هناك، واتفقي مع انجيلو على أن يتم الأمر بسرعة.

ايزابيل : أشكرك لما جعلت في قلبي من اطمئنان ـ وداعاً أيها الأب الصالح.

(تخرج)

المشهد الثاني

(يدخل ايلبوي وبعض الضباط (مع) بومباي)

ايلبوي : إذا لم يكن هناك علاج يحسم الأمر إلا بيع وشراء الرجال والنساء كالحيوانات، فسترى العالم جميعاً ينتج تجمعاً كبيراً من اللقطاء.

الدوق : يا للعجب، أية أمور تحدث في هذا العالم.

بومباي : حال العالم مقلوب، لا يسمح بالملذات الجسدية، بينما يجيز القانون الإثمار المالي، يغطيه بالفراء، يدثر بفراء الثعلب جلد الحمل ليشرح أن الدهاء الذي هو أبهى من البراءة، ينبىء عنه لباس المرء لا داخله.

ايلبوي : هيّا في سبيلك يا سيدي، رعاك الله، أيها الأب الأخ.

الدوق : ورعاك أنت أيضاً أيها الأخ الأب، أيُّ إساءة أصابتك يا سيدي، من يكون هذا الرجل؟.

ايلبوي : لقد خالف القانون يا سيدي، ونظن أنه لص يا سيدي فقد وجدنا بحوزته خطافاً عجيباً لفتح الأقفال وقد أرسلناه إلى نائب الدوق.

الدوق : قواد فاجر، إن ذنبك الذي تفعله هو وسيلة

عيشك. فلو فكّرت في معنى أن تحشو معدة أو تحطم جسداً عن طريق هذا الذنب الدنس. اسأل نفسك: أمن هذه الاتصالات ذات الطابع الحيواني الكريه آكل وأشرب وألبس وأعيش. أتعتقد أن حياتك قد ملّت هذا العذاب؟ لتصلح من أمرك.

بومباي : حقاً إنها لحرفة حقيرة يا سيدي، بمعنى أو بآخر، ومع ذلك فيمكنني أن أثبت.

الدوق : نعم، إن كان إبليس قد أوحى لك بمبررات الذنب فيبدو أنك وافقته أيها الضابط.. خذه إلى السجن. يجب أن يتعاون الإصلاح والإرشاد قبل أن يحصد ذلك الوحش الوقح نتيجة لما يزرع.

ايلبوي : عليه أن يمثل أمام نائب الدوق، يا سيدي، لقد حذره. إن نائب الرئيس لا يطيق ذا دعارة، وأية تهمة مهما كانت أهون من مثوله بهذه الصفة أمام النائب.

الدوق : ليتنا جميعاً ـ كما يحلو للبعض أن يبدو ـ قد برئنا من أخطائنا، كما برىء الخطأ مما يبدو عليه.

ايلبوي : ستعلق رقبته، إلى حبل، يا سيدي. (يدخل ليسيو)

بومباي : إني لأحس بالطمأنينة والأمان، فالرجل هنا لطيف وصديق لي.

ليسيو : كيف الحال أيها النبيل بومباي، ما هذا، أفي ركاب قيصر وهو في موكب من مواكب الانتصار؟ عجباً مَن يأتينا بتمثال مِن صنع بيغماليون يمثل امرأة، وقد ضبطت متلبسة وهي تدس يدها في جيب؟ ها ها، هل لديك إجابة؟ ما رأيك في هذه اللهجة معنى ومبنى؟ ها ها، ألم تصبح الآن من مخلّفات عصر سابق؟ ما رأيك؟ أيها الحيزبون؟ هل العالم باق كما كان؟ ما أفضل نهج فيه؟ أن يتباكى الإنسان في كلمات قليلة؟ أي بدع تجتاحه.

الدوق : ما زال كما هو، متقلب الأحوال ينتقل من سيىء إلى أسوأ.

ليسيو : كيف حال لقمتي السائغة حظيتك؟ أعتقد أنها لا تزال قوادة، أليس كذلك؟.

بومباي : لقد أتت على اللقمات كلها، وهي ذاتها الآن في وعاء القديد.

ليسيو : شيء حسن. هذا الواقع عينه. هذه طبيعة الأمور العاهرة في شبابها تتحول إلى قوادة عندما تصبح بعمرها تضع المساحيق. هذا ما

لا يمكن مجانبته، هكذا تسير الأيام، أذاهب إلى السجن أنت يا بومباي؟ .

بومباي : أجل يا سيدي .

ليسيو : ولم لا، إن هذا ليس بغريب يا بومباي، وداعاً اذهب وقل إني أرسلتك إلى هنا، ماذا ستكون حجتك؟ .

بومباي : لأني قواد، لأني قواد.

ليسيو : حسناً، إلى السجن إذن، فلا عجب إذا كان السجن هو جزاء القواد، فإن ذلك العقاب حق له لأنه قواد، إلى اللقاء يا بومباي الطيب، بلغ تحيتي إلى السجن ستصبح الآن زوجاً طيباً، سترعى بيتك .

بومباي : أرجو، يا سيدي، أن تكون فخامتكم حامياً لي .

ليسيو : كلا، في الحقيقة لن أكون، ليست العادة كذلك، سأدعو الله يا بومباي أن يشد وثاقك، فإذا لم تصبر على تحمله ازداد شدة وداعاً يا بومباي الأمين، رعاك الله أيها الراهب .

الدوق : ورعاك أيضاً .

ليسيو : هل ما زلت بروغت تطلي وجهها يا بومباي؟ هه!

ايلبوي : هيا امش في دربك، هيّا.

بومباي : ألن تضمنني إذن يا سيدي؟.

ليسيو : في حينه يا بومباي، ليس الآن. ما الأخبار في الخارج أيها الراهب؟.

ايلبوي : هيا، امش في دربك يا سيدي، هيا.

ليسيو : فلتذهب إلى حظيرة الكلاب يا بومباي، فلتذهب (يخرج بومباي والضباط) ما أخبار الدوق أيها الراهب؟..

الدوق : لا أعلم، هل عندك أي نبأ منها؟.

ليسيو : يقول بعض الناس إنه في روسيا، والبعض الآخر إنه في روما، ولكن أين هو فيما تعتقد؟.

الدوق : لا أعلم أين، ولكن أمنياتي الطيبة حيث هو كائن.

ليسيو : لقد كانت خدعة جنونية منه وعجيبة بنوعها أن يتسلل في الخفاء، من أرض الدولة ويحترف التسول الذي لم يخلق له، ويقوم لورد انجيلو هنا، أميراً عنه أحسن قيام، في غيابه، ويذهب في ذلك إلى آخر حدّ.

الدوق : حسناً يفعل.

ليسيو : لا يضيره لو كان ليّناً أكثر مع الفسق، فهو في هذا الأمر عنيف، أيها الراهب.

الدوق : قد فشت هذه الرذيلة ولا بد من الشدة الحزم لاستئصالها.

ليسيو : نعم كلام حق، فإن هذه الرذيلة متشعبة، وارتباطاتها عديدة ويستحيل استئصالها، إذا لم نُحارب الرغبة في المأكول والمشروب، حتى انه ليقال إن انجيلو هذا لم يولد ـ كبقية البشر ـ من آدم وحواء، أتعتقد هذا صحيحاً؟.

الدوق : كيف خلق اذن؟

ليسيو : يقول البعض إنه وليد عذراء البحر، والبعض يقول إنه وليد سمكتين من السمك القديد، ولكن من الأكيد أنه حين يبول فإنه بوله يتجمد ثلجاً، تلك حقيقة أنا واثق منها، فهو أداة عقيمة، لا شك في ذلك.

الدوق : إن لك دعابة يا سيدي، وتتكلم بسرعة.

ليسيو : عجباً، ما أقبح ذلك منه، أمن أجل زلّة يحرم إنساناً من الحياة هل كان الدوق الغائب يفعل ذلك؟ كان يفضل ـ قبل أن يقدم على إعدام امرىء، لإنجابه مائة ابن حرام ـ أن يدفع أجراً لمن يقوم على تربية ألف منهم، لقد كان يتمتع بروح رياضية، وكان واثقاً من عمله، فغرس فيه ذلك روح الشفقة والرحمة.

الدوق : لعمري ما سمعت أن الدوق الغائب زير نساء، لم تكن أهواؤه لتميل به إلى هذا الاتجاه.

ليسيو : إنك لمخدوع يا سيدي.

الدوق : لا يمكن أن يحصل هذا.

ليسيو : مَنْ، غير ممكن من الدوق؟ إن له حكاية مع كل متسولة بلغت خمسين عاماً، ولقد اعتاد أن يهبها درهماً في صندوقها الذي تتسول به، لقد كان غريب الأطوار، وكان يُشاهد سكراناً أيضاً، أؤكد ذلك.

الدوق : أنت تسيء إليه بالتأكيد.

ليسيو : لقد كنت من خيرة رجاله، كان رجلاً حيياً، واعتقد أني أعرف سبب إعفائه.

الدوق : ما السبب؟ قل لي.

ليسيو : لا، عفواً. إنه سر مكتوم ولكني أستطيع القول إن الأغلبية الساحقة من الناس كانت تعتقد أنه ذكي.

الدوق : ذكي، ولم لا، لا ريب أنه كان كذلك.

ليسيو : لقد كان جاهلاً، سطحياً لا يزن الأمور.

الدوق : هذا الكلام الصادر منك إما أن يكون عن حسد أو حماقة أو خطأ، فمنهج حياته وعمله، لا بد أن يشهدا له عند الضرورة بالسمعة الحسنة،

فإذا ما عرضنا جلائل عمله، لبدا للحاسد عالماً وسياسياً وجندياً، لذلك فإن كلامك ليس عن خبرة، أو ربما غمر حقدك معلوماتك.

ليسيو : إني لأعرفه يا سيدي وأحبه.

الدوق : يكون الحب بمعرفة أكثر ثقة، والمعرفة تنطق بمودة أكثر عمقاً.

ليسيو : دعنا من هذا يا سيدي، إني بما أعرف لواثق تمام الثقة.

الدوق : لا أستطيع تصديق هذا، فأنت تتلفظ بما لا تدري، ولكن إذا عاد الدوق ـ كما نتمنى ـ فإني سأسألك المثول أمامه لتدافع عن نفسك، فإن كنت صادقاً فيما قلته، فستؤتى من الشجاعة ما يكفل لك أن تكرر ما ذكرته، لقد عاهدت نفسي أن أستدعيك له، فهل لي أن أعرف اسمك؟.

ليسيو : اسمي ليسيو يا سيدي، اسم يعرفه الدوق معرفة أكيدة.

الدوق : ستزداد معرفته يا سيدي، إذا طال عمري حتى احكي له عنك.

ليسيو : إني لا أخافك.

الدوق : آه، أنت تأمل ألا يعود الأمير، أو ربما تحسبني

خصماً هيّناً، ولكني في الواقع أستطيع أن أنالك بالأذى هل تنكر ما قلت مرة أخرى؟.

ليسيو : جري أن أعدم قبل أن أفعل ذلك، إنك لا تعرفني أيها الراهب، ولكن دعنا من هذا، هل باستطاعتك أن تنبئنا إذا كان كلوديو سيموت غداً أم لا.؟..

الدوق : ولم يجب أن يموت يا سيدي؟.

ليسيو : لأنه عبأ زجاجة بقمع، ليت الدوق الذي تتكلم عنه يعود ثانية، إن هذا النائب العقيم سيحول بتطرفه المدينة إلى مكان خال من الناس، فالعصافير قد حرمت أن تشيد أعشاشها فوق أفاريز منزله، والدوق يقابل الذنوب الخفية بأسلوب خفي!! فلا يرضى لها العلانية، ليته يعود! لقد حكم على كلوديو بالموت لأنه خلع عنه ثوب الحياء. إلى اللقاء، أيها الراهب الطيب، أرجو أن تذكرني في صلاتك، أؤكد لك مرة أخرى أن الدوق يستبيح لنفسه أن يفعل المحرّمات الجنسية رغم أنه تخطى سن الشهوات، وأخبره بما قلته لك ويستبيح تقبيل متسولة تفوح منها رائحة الثوم والخبز الأسود، إلى اللقاء.

(يخرج)

الدوق : ما من قوي أو عظيم بين البشر بقادر أن يسلم من التشهير الذي ـ كطعنة الخلف ـ تصيب الفضيلة الناصعة، أي قوة تستطيع لجم اللسان الذميم؟. من الآتي؟

(يدخل ايسكالوس والآمر والضباط مع السيدة افيردون متفرقين)

ايسكالوس : دعيني، خذوها إلى السجن.

السيدة اوفيردون : سيدي اللطيف، أرفق بي فقد عرفتك رحيماً.

ايسكالوس : لقد أنذرتك أكثر من مرة، ولا فائدة، فتذنبين! والرحيم يغدو مستبداً.

الآمر : قوادة. منذ أحد عشر عاماً في ممارسة الرذيلة، أرجو أن تعرف فخامتكم.

السيدة اوفيردون : يا سيدي تهمة لفقها ضدي من يدعى ليسيو، لقد حملت منه السيدة كيت كيب داون، أثناء عهد الدوق، وتعهد بأن يتزوجها، وطفله قد أصبح عمره سنة وربع السنة في عيد القديسين فليب ويعقوب، لقد ربيت الطفل ولكن ليسيو، يلفق لي التهم.

ايسكالوس : هذا الرجل فاحش، فأتونا به، وخذوها إلى السجن، هيا لا فائدة من الكلام بعد ذلك.

(يخرج الضباط مع السيدة اوفيردون) أيها الآمر، إن شقيقي انجيلو لن يعدل عن رأيه، يجب أن يموت كلوديو غداً، فأتوا له بكهنة، وقوموا بكل الترتيبات الدينية اللازمة. لو الرحمة التي لي كانت لشقيقي لما وصلت الأمور إلى هذا الحد.

الآمر : ربما يرضيك أن تعلم أن هذا الراهب قد قضى معه بعض الوقت، وقد أعده لملاقاة الموت.

ايسكالوس : أُسعدت مساء، أيها الأب الصالح.

الدوق : نعمت بالخير والسعادة.

ايسكالوس : من أي بلد أنت؟.

الدوق : لست من هذا البلد، ولكن اقتضت ظروفي أن أعيش فيها الآن، فأنا راهب في نظام ديني، وصلت مؤخراً من الكرسي البابوي بروما، رسولاً في مهمة خاصة من قداسة البابا.

ايسكالوس : ما أخبار الناس حولنا؟.

الدوق : لا شيء سوى أن الصلاح قد اعتلّ بحمى لا شفاء منها إلا بزواله. لا يرغب الناس إلا في الجديد، فإنه محفوف بالخطر الالتزام بجادة واحدة وقتاً طويلاً. كما أن من الفضيلة أن يداوم الإنسان على ما يضطلع به، وليس هناك

من صدق قائم يضمن السلام للمجتمعات، بل شاعت الضمانات كأساس للتعامل بين الرابطات الحرفية والتجارية مما جعلها بغيضة، ترتكز على هذا أسس الحكمة في العالم. حكمة طال العهد بها، ولكنها تتجدد كل يوم. بالله عليك يا سيدي صف لي حال الدوق.

ايسكالوس : هو امرؤ فضل أن يقاتل لمعرفة نفسه، قبل أي قتال آخر.

الدوق : أي ألوان المسرات كانت تداخله.

ايسكالوس : كان يسرّه أن يرى غيره من الناس سعيداً، لا أن يحسّ بالسعادة تغمره هو، رقيقاً، عفيف النفس إلى أبعد حدٍّ، ما علينا، فلندعه لشأنه، ونتمنى له التوفيق ، والآن أود أن أعرف إلى أي مدى قد وجدت كلوديو مستعداً، لقد فهمت أنك عرّجت عليه.

الدوق : هو يعترف بأن القاضي لم يكن ظالماً في الحكم عليه ويرضى بالمصير الذي تقرره له العدالة، وإن يكن قد بنى لنفسه آمالاً خادعة حاكها له ضعفه، تؤمّله بالحياة، وقد تمكنت حين اختليت به، أن أبددها منه، وقد وطّد

النفس الآن على الموت.

ايسكالوس : لقد أديت رسالتك نحو السماء، وأديت للسجين ديناً عليك، يقتضيه واجبك، ولقد بذلت أنا، بدوري قصارى طاقتي لأجل هذا الرجل التعس، ولكني وجدت شقيقي القاضي على درجة كبيرة من الصلابة، مما جعلني أعترف بأنه القضاء مجسداً.

الدوق : إذا كانت سيرة حياته توافق تطرفه في تصرفاته، فهو أهلٌ بما فعل. أما إذا قصرت عن ذلك فقد حكم على نفسه.

ايسكالوس : ها أنا ذاهب إلى السجين أزوره، فإلى اللقاء.

الدوق : السلام عليكم (يخرج ايسكالوس وآمر السجن) إن من يحمل سيف السماء يجمع بين الطهر والقسوة يضرب من نفسه الأمثال ويسير على الدرب الصحيح ويوفي الناس بالقسطاس ما ناف أو نقص عن نفسه، سحقاً لمن يبطش ومن يقتل في خطأ هو قد أغرم به. ما أنكرها فعلة انجيلو! يقتلع جرمي، ويرعى جرمه، آه! كم يستر المرء في داخله وإن بدا ملاكاً في ظاهره! كم في غمرة الإثم غدا تابعي وامتد الزمان به في الرياء والنفاق. رباه ـ كيف لي بنسج

عنكبوت وإن وهى فصيده ثمين. لا بد من حيلة تفتعل نتقي بها شر الفساد مع أنجيلو. الليلة سوف تأوي عروسه القديمة المنبوذة. كذا يفل المكر بالمكر ويدفع الباطل بالباطل ويبرم عقد طواه الزمان.

الفصل الرابع

المشهد الأول

(بيت ريفي يحيط به الماء)

تدخل مريانة وصبي يغني أغنية:

.أبعدوا هذي الشفاه
لفظتني في عذوبه
وعيوناً كالفلق
أضاءت الصباح
وأعيدوا قبلاتي، ردوها
وشمات الهوى، ذهبت هباء

(يدخل الدوق «متنكراً»)

مريانة : فلتنه أغنيتك ولتذهب عنا بعيداً هاهو رجل السلوى آتٍ من نصحه طالما سكّن من ثائرة غضبي (يخرج الصبي) رحماك يا سيدي، أحب ألا تشاهدني هنا أغنيّ، فعذراً، وكن على ثقة مما أقول: هذه لم تكن أغنية مرح، بل كنت أغني للتسلية.

الدوق : حسن، رغم أن الموسيقى لها سحر يكسب الخطيئة رواء ويجعل الفضيلة تسقط في مهاوي

الـزلل. هـلاّ أخبرتني، ألا من أحـدٍ يسأل عني هنا اليوم؟ لقـد وعدت الكثيـرين أن أجتمع بهم في هذه السـاعة وفي هذا المكان.

مريانة : لـم يسأل عنك أحد، فقد كنت موجوداً هنا طوال اليوم.

(تدخل ايزابيل)

الدوق : بالتأكيـد أصدقـك، والآن لقد آن الأوان فصبـراً قليـلاً ربما أنـاديك في الحـال، لخيـر يصيبـك أنت.

مريانة : تحت أمرك على الدوام.

الدوق : (إلى إيزابيل) لقاء جميل وأهـلاً بك، مـا الأنباء عن ذلك النائب اللطيف؟

ايزابيل : لـه جنينـة يحيط بهـا سـور من اللبن تمتـد في جـانبها الغـربي كـرمـة عنب رتـاجهـا من ألواح متراصة يلجها هذا المفتـاح الكبير أمـا هذا فهـو مفتاح باب صغير يصل مـا بين الكرمـة والجنينة وهنا عقدت وعدي عندما ينتصف الليل الثقيل أن أذهب إليه.

الدوق : ولكن هل يمكنك أن تعرفي الدرب؟

ايزابيل : لقـد ألممت بها إلمـامـاً دقيقـاً وافيـاً وهـو، في

همسات خافتة، وفي حذاقة الأثيم، وبإيماءات صامتة، أراني الدرب مرتين.

الدوق : أما من علامات أخرى؟ اتفقتما عليها لتعرفها هي.

ايزابيل : كلا، لا شيء، غير أن تكون خلوتنا في الظلام وأقنعته أن بقائي معه، يجب أن يكون لوقت قصير، فلقد أفهمته أن خادماً لي سيرافقني وسيكون بانتظاري، على زعم أني أتيت في شأن يخص شقيقي.

الدوق : لقد أحكمت الخطة بشكل حسن وأنا لم أسرّ إلى مريانة إلى هذه اللحظة بكلمة واحدة عن هذا الموضوع، ما هذا، من هناك؟ بالداخل! تقدّمْ! (تدخل مريانة) (إلى مريانة) أرجوك أن تتعرّفي بهذه الفتاة فقد أتت من أجلك ولمصلحتك.

ايزابيل : وأنا أيضاً أن أقابلها بالمثل.

الدوق : هل أنت على ثقة من أنني أعمل لخيرك.

مريانة : إني جدّ واثقة، أيها الراهب الصالح، وقد لمست ذلك.

الدوق : رافقي إذن صاحبتك هذه، يداً بيد فلديها قصة لك

وسأكون بانتظارك عندما تنتهين، ولكن هيّا فإن الليل المظلم بدأ يزحف.

مريانة : (إلى إيزابيل) تعالي جانباً من فضلك.

(مريانة وايزابيل تذهبان جانباً)

الدوق : أيتها المناصب والمراكز، أيتها العظمة، ملايين المقل الزائفة تتطلع إليك، وكم فيوضٍ من أقاويل انطلقت تعوي بما أوحى لها الزيف عن صنائعها. وكم شاردةٍ من ذكي فطن جعلت منك مهبط أحلامه الغريرة وأخذت تدغدغ خيالاته (تعود مريانة وايزابيل) أهلاً بكما ماذا تم من اتفاق؟.

ايزابيل : هي ستقوم بالمغامرة، أيها الأب إذا كنت توافق على ذلك.

الدوق : ليس الأمر مجرد موافقة مني ولكنه أيضاً رجاء.

ايزابيل : ليكن كلامك قليلاً حين تدنين منه، ولكن في صوت ناعم خفيض «والآن تذكر شقيقي».

مريانة : لا تخافي شيئاً.

الدوق : ولا تخافي يا ابنتي اللطيفة ـ أنت من شيء بتاتاً، فإنه زوجك وفق عهد سابق. فإذا ما جمعنا شملكما على هذه الحالة، فلا جناح

علينـا. فصحـة العـلاقـة بينكمـا تُضفي على الخديعة ثوب الحقيقة، تعالي، هيا بنا نذهب فلا بد لكي نقـطف الثمـار، أن نلقي البـذور عـلى الأرض.

(يخرجون)

المشهد الثاني

(يدخل آمر السجن وبومباي)

الآمر : تعال هنا، يا هذا، أتتمكن من أن تقطع رأس رجل؟.

بومباي : أتمكن إذا كان الرجل عازباً يا سيدي، أما إذا كان متزوجاً فهو رأس زوجته، ولا عهد لي بقطع رأس امرأة.

الآمر : تعال يا سيدي، ودعنا من شطحاتك هذه وأجبني من غير مواربة، في الغد سيعدم كلوديو، وبرناردين وعندنا في السجن هنا جلاد، يحتاج في عمله إلى معاون، فإذا ما تعهدت بمعاونته، فسوف يعفيك هذا من أغلال القيد، وإلا فعليك أن تمضي في السجن تمام مدة العقوبة، وتشبع منه ضرباً بالسياط، دون شفقة، فلطالما عشت قواداً، ضجت بشهرته الآفاق.

بومباي : لقد عملت قواداً لا قانونياً لفترة من الوقت لا أذكرها، ومع ذلك فيسرني أن أعمل جلاداً قانونياً وأن أتلقى بعض الإرشادات من زميلي في العمل.

الامر : من هناك؟ من! أين أبهورسون؟

(يدخل أبهورسون)

ابهورسون : هل تنادي يا سيدي؟.

الأمر : يا هذا، هنا زميل سيعاونك غداً، في عملية الإعدام، فإذا أعجبك فاعقد معه اتفاقاً سنوياً، وائذن له بأن يقيم معك، وإلاّ فاستعن به فيما نحن الآن بصدده، ثم اصرفه، فإنه لا يستطيع أن يدعي لنفسه منزلة فقد كان يعمل قواداً.

ابهورسون : قواداً يا سيدي؟ تباً له، سوف يحط من قدر مهنتنا.

الأمر : دعنا من هذا يا سيدي، إنكما متعادلان مكانة، وتكفي شعرة واحدة لقلب الميزان.

بومباي : معذرة يا سيدي، إذا سمح لي جميل فضلك، فأنت بالتأكيد ـ ذو فضل جميل، رغم أن لك نظرة جلاد، هل تدعو عملك مهنة ذات أسرار.

أبهورسون : نعم يا سيدي، ذات أسرار.

بومباي : الرسم بالألوان يا سيدي هو ـ كما تدعون ـ مهنة لها سر، وومساتك يا سيدي ـ اللائي هن من بنات مهنتي، واللائي يقمن بالرسم بالألوان ـ يشهدن بأن عملي مهنة ذات سر، ينطوي عليها

الإعدام حتى لو قدر لي أن أعدم.

ابهورسون : إنها لمهنة لها سر يا سيدي.

بومباي : ألديك اثبات؟.

أبهورسون : كل لباس لرجل مستقيم يلائم اللص، فإذا كان واسعاً عليه فالرجل المستقيم يعتبره كبيراً بدرجة تفي بالمطلوب منه، وإذا كان ضيقاً على اللص، فإن اللص سيعتبره صغيراً بدرجة تفي بالمطلوب منه، وعليه، فكل لباس لرجل مستقيم، يلائم اللص.

(يدخل آمر السجن)

الآمر : هل اتفقتما؟.

بومباي : سأساعده يا سيدي، ففي رأيي أن الجلاد يكفر عن آثامه أكثر مما يفعل القواد، فهو أكثر منه طلباً للمغفرة.

الآمر : يا هذا، هيّىء منصة الإعدام والفأس. غداً الساعة الرابعة.

ابهورسون : تعال أيها القواد، سأدربك على مهنتي، اتبعني.

بومباي : إني لأريد أن أتعلم يا سيدي، وأرجو أن تسمح لي ـ لو حانت لك الفرصة ـ أن أقوم بعملك، وستلقاني على أهبة الاستعداد، فإني لمدين

لك ـ حقاً ـ يا سيدي بالفضل الكثير.

الآمر : ائتني ببرناردين وكلوديو.

(يخرج ابهورسون وبومباي)

فإن أحدهما يستأثر بعطفي كله والآخر لا يحظى ولو بقلامة ظفر؛ فهو سفاح حتى لو كان شقيقي (يدخل كلوديو) انظر، هذا أمر بإعدامك يا كلوديو، لقد انتصف الليل البهيم الآن، وقبل أن تحين الساعة الثامنة غداً سيصنع لك الخلود، أين برناردين؟.

كلوديو : طواه الرقاد كالتعب البريء حين يرقد جامداً في عظام رجل مجهود فهو لا يستفيق.

الآمر : من ذا يستطيع أن يؤدي إليه إحساناً؟ حسناً اذهب وهيىء نفسك (قرع بالداخل) ولكن اسمع، ما هذه الضجة؟ لتهب السماء هدوءاً لروحك (يخرج كلوديو) (قرع) سألحق بك في الحال ـ لعل ذلك إيذاناً بالصفح أو إرجاء تنفيذ العقوبة في كلوديو، ذلك الإنسان بالغ الرِّقة (يدخل الدوق متنكراً) مرحباً بالأب.

الدوق : ليت أفضل أطياف الليل وأكثرها بركة تحيط بك أيها الآمر اللطيف! من أتانا في الساعات الأخيرة؟.

الآمر : لا أحد منذ أن قرع جرس المساء.

الدوق : ولا ايزابيل؟

الآمر : ولا إيزابيل.

الدوق : سيفعلون ذلك إذن قبل مضي وقت طويل.

الآمر : أي أمل يرتجى لكلوديو؟.

الدوق : لا زال بعض الأمل يُرتجى.

الآمر : إنه نائب صلب قاس.

الدوق : ليس كذلك، ليس كذلك، فحياته مع عدالته القصوى تماماً، حتى مع إيقاعات فأس الإعدام ومقاطع حبله فهو ـ في تعفف مقدّس ـ يقمع في داخله ما يجبره سلطانه أن يمليه على غيره، لو أنه دنّس نفسه بما يحرمه، لكان طاغية جباراً ولكنه، والأمر كذلك، منصف (قرع من الداخل، يتجه آمر السجن إلى الباب) لقد جاؤوا الآن هذا آمر السجان المدجج بالسلاح صديقاً للناس (قرع) والآن ما هذا، ما هذه الضجة؟ ذلك شبح في عجلة من أمره ينقر بقرعاته الرتيبة، الباب الجانبي (يعود آمر السجن).

الآمر : يجب أن يبقى في مكانه حتى يستيقظ الضابط ليأذن له بالدخول لقد طلب إليه أن يحضر.

الدوق : ألم يأتك، إلى الآن، أمر بإلغاء عقوبة كلوديو، أو أنه سيعدم غداً؟

الآمر : لم يأتني شيء، يا سيدي، لا شيء.

الدوق : لتسر الأمور كما هي حتى قبيل الفجر وقبل أن ينفلق الفجر سوف تسمع جديداً.

الآمر : ربما تعرف بعض الأمور، ولكني أظن أنه لن يصدر أمر بالإلغاء، فذلك شيء لم يحدث قبلاً وعدا ذلك، فمن فوق منصة القضاء أعلن لورد انجيلو للناس جميعاً شيئاً يناقض ذلك.

(يدخل رسول)

هذا رسول سيادته.

الدوق : وها قد وصل الصفح عن كلوديو.

الرسول : لقد أرسل إليك سيدي هذه المذكرة، وكلفني شخصياً بأن أقول لك ألا تحيد عن تنفيذ حرف واحد مما جاء فيها من زمان ومكان وشتى ظروف، أرجو لك غداً سعيداً، فها قد أوشك الصبح ـ كما يبدو لي ـ أن ينبلج.

الآمر : سأقوم بتنفيذ أمره.

(يخرج الرسول)

الدوق : (جانباً) هذا أمر بالصفح عنه، ثمنه خطيئة قام بها صاحب العفو فسريعاً ما تستشري رذيلة

يحمـل ذو السلطان رايتهـا، وحين ينبس العفـو من فم الآثم تفسح الرحمة صدرها حتى ـ لفرط مـا يلقـاه الاثم من حـظوة ـ يخـطب النـاس ود الأثيم. والآن يا سيدي ماذا عندك من أنباء؟.

الأمر : لقـد سبق أن أنهيت إليـك هــذا، فلورد انجيلو يجبــرني ـ وكـأنمــا يعتقـد أنني متــراخيـاً في واجبي ـ بهـذا الأمـر غيـر العـادي، هــذا يثيـر الدهشة، إذ لم يلجأ لذلك من قبل.

الدوق : فلتسمع ما جاء به.

الأمر : (يقـرأ) «ليتـم ـ مهمـا تــرامى إليـك من أنبــاء تنـاقض ذلـك ـ إعـدام كلوديـو قبــل السـاعــة الـرابعة، وبعـد الظهـر برنـاردين، ولكي أشعـر بالراحة فلتعمل على أن ترسل إلي برأس كلوديو قبـل الخـامســة، ولينفـذ هـذا على أتم وجـه، ولتعلم أننـا نعلق، على ذلـك، أهميـة كبـرى، مما لا يجب البوح به الآن، فلا تتلكأ عن القيام بمهمتك، إذ عليك تقـع مغبة هـذا» ماذا تقـول في هذا يا سيدي؟.

الدوق : أي صنف من الرجال هذا الذي يُسمى برناردين الرجل الذي سيعدم بعد الظهيرة؟.

الأمر : رجل بوهيمي ولادة، ولكنه ترعرع ونشأ هنـا إنه

نزيل السجن منذ تسع سنوات.

الدوق : كيف حدث أن الدوق الغائب، لم يرجع إليه حريته، أو يعدمه، لقد تناهى إليّ أنه دأب على ذلك.

الأمر : لا يزال أصدقاؤه يعملون لاستصدار عفو عنه، والحقيقة أن جريمته، لم يقم إلى الآن دليل يقف ضدها في عهد لورد انجيلو.

الدوق : أهي الآن واضحة؟.

الأمر : واضحة تماماً ولم ينقضها هو.

الدوق : هل كفر عن فعلته بالتوبة في السجن؟ إلى أي مدى بلغ به التأثر؟.

الأمر : إنه لا يخاف الموت إلا كما يخاف هجعة تبعثها سكرة خمرة، لا مبالٍ، أخرق، لا يكترث بغائب أو حاضر أو قادم ولا يلقي بالاً إلى موت أو فناء، وهو على حافة فناء أبدي.

الدوق : إنه بحاجة إلى الهداية.

الأمر : لا يكترث بهدي، بل الأعجب من ذلك أنه منح ذات يوم الحرية نفسها التي تمنح للسجناء وكان بمقدوره أن يهرب من سجنه فلم يفعل تراه ثملاً مرات عديدة أثناء اليوم، إن لم يبق ثملاً طوال أيام عديدة، كم أيقظناه وأوهمناه أننا

نـود أن نقوده إلى الاعـدام، وأريناه أمـراً مزوَّراً بإعدامه، فما حرك ذلك فيه ساكناً.

الدوق : عمـا قريب ستسمـع عنه الكثيـر، وأما بـالنسبـة إليـك أيهـا الآمـر، فقـد سـطرت على جبينـك أمـارات الصدق والإخـلاص إذا لم أكن محقـاً فيمـا أقول فقـد خـدعتني فـراستي المعهـودة، ولكني سأضع نفسي ـ وأنا أغامر بفراستي هذه ـ مواضع الزلل فـإن كلوديو هـذا الذي عنـدك قد أمر بإعدامه لا يقع تحت طائلة القـانون إلا كمـا يقع انجيلو، ذلك الرجل الذي قضى بإعـدامه، ولكي تفهم هـذا بطريقـة جلية آمـل أن تمهلني أربعة أيام تصنـع لي معها الآن معـروفاً محفـوفاً بالخطر.

الآمر : ترى في أي مجال يا سيدي؟

الدوق : في تأجيل الإعدام؟.

الآمر : يـا لـلأسفـ! كيفـ لي أن أقـوم بـذلـك؟ وقـد حـددت لي الساعـة ومعها أمـر صريـح مقـرون بالويل والثبور أن أضع رأسه أمام عيني انجيلو، ربما أستطيـع أن أتمثل بكلوديـو فيما أنـا فيه، فأجتاز هذه المحنة بلا كبير مبالاة.

الدوق : أقسم بعهد الكهنوت الذي أقسمته، أن أضمن حمايتك إن أنت اهتديت بهديي، فليعدم برناردين هذا الصباح وليحمل رأسه إلى أنجيلو.

الآمر : لقد رأى الاثنين وسوف يتعرف على وجهه.

الدوق : أوه، إن الموت قناع كبير، ويمكنك أن تضفي عليه لمسة، قص شعر رأسه وهذب لحيته، وقل تلك كانت رغبة المذنب، أن يكون حليقاً قبل موته، فأنت تدري أن ذلك تقليد شائع، فإذا لم تجد على هذا العمل غير الامتنان والحظ المناسب، أقسم بالقديس الذي أتشيع له أني سأدافع عنك بما أوتيت من حياة.

الآمر : معذرة أيها الأب الصالح، فذلك بخلاف القسم الذي قطعته على نفسي.

الدوق : هل قطعت عهدك في حضرة الدوق أو في حضور نائبه؟

الآمر : في حضوره وحضور نوابه.

الدوق : ألا ترى معي أنك لا تأتي إثماً إذا ما قرر الدوق أن عملك كان صحيحاً؟.

الآمر : ولكن أنى يلوح هـذا الاحتمـال تجـاه هـذا التصرف؟.

الدوق : ليس الأمر مجرد احتمـال بل هـو يقين، ولكن ـ لمـا يظهـر عليك من رعب ليس من السهـل أن يبـدده لبـاسي هـذا، ولا إخـلاصي، ولا حثي لـك. فسأذهب إلى أقصى ممـا قصدت، لكي أنزع جميع المخاوف منك ألقِ نظرة يا سيدي، تشـاهد هنـا خط الدوق فـأنت تعرف سمـاتهما وليس الختم بغريب عليك.

الآمر : إني أعرفهما كليهما.

الدوق : مضمون هذا الكتاب هو رجـوع الدوق، ستقـرأ ذلك قريباً عندما يحلو لك، وستجـد بها إشـارة إلى إيابه إلى هنـا خلال هـذين اليومين، وهـذا أمر لا يعرف لورد انجيلو عنه شيئاً، فهو سيستلم في هـذا اليوم بـالـذات خـطابـات ذات طـابـع غريب، ربما عن وفاة الدوق، وربما عن دخوله أحـد الأديـرة، ولكن الـواقـع ـ لحسن الحظ ـ بعيـد عما هـو مسطور، انـظر، ها هي النجمـة المتـلألئة تـدعو الـراعي أن يخـرج خـرافـه من الحظيرة، لا تعجب كيف حدثت هذه الـوقائـع فكل المصاعب الشائكة تذلل عنـدما نـدركها،

هاتِ جلادك وأسرع برأس برناردين، سأعطيه فرصة للاعتراف أمامي الآن، وأبصره بمكان أحسن، إنك في ذهول مما حدث ومع ذلك فسوف يبعث هذا الأمان في نفسك تماماً، هلمَّ معي، فالفجر يكاد أن ينبلج.

المشهد الثالث

«ذات المكان»

(يدخل بومباي)

بومباي : أنا أعرف هذا المكان جيداً، كما عرفت المنزل الذي كنت أزاول فيه مهنتنا، يخيل للإنسان أنه منزل السيدة اوفيردون، فهنا الكثير من عملائها، فأولاً هنا السيد أهوج الشاب، لقد أتى إلى هنا للحصول على كميات من الورق البني والزنجبيل ثمنها مائة وسبعة وتسعون جنيهاً مؤجلة الدفع منها خمسة ماركات نقود نقدية وقد شح الطلب على الزنجبيل لأن المسنات من النساء جميعاً قد فارقن الحياة، ثم هنالك المسمى السيد كيبر صاحب الوثبات الراقصة وقد تتبع تاجر الأقمشة الحريرية والصوفية، السيد ثري بايل صاحب المخمل ثلاثي الوبر، ليبتاع أربع بذلات من الساتان الأرجواني الوردي مما يدمغه بالتسول، وكذلك هنا بعد ذلك الشاب دزي الأبله والسيد الشاب ديب فاو صاحب الوعود العريضة والسيد كوبر

سبر الطلي الهيئة والسيد ستارف لاكي حامي حمى الشرف، صاحب الخنجر والشيش. وعندنا الشاب دروب هير الداعي الشريف الذي قتل السيد بودنغ صاحب الفطائر اللذيذة. وهناك أيضاً السيد الفارس رامي الرمح فورث رايت صاحب الصراط المستقيم، والسيد الرحالة العظيم شوتي منمق الأحذية، وعندنا أيضاً السيد هاف كان ساقي الخمر الغليظ الذي كان يزور سعة الدنان، وأحسب أن هناك أربعين آخرين جميعهم كان لهم حظ وافر في مهنتنا، والآن أصبحوا يعيشون على أموال الإحسان.

(يدخل ابهورسون)

ابهورسون : يا هذا ائتني ببرناردين.

بومباي : أيها السيد برناردين، عليك أن تقف لتعدم، أيها السيد برناردين.

ابهورسون : هات سريعاً برناردين!

برناردين : (من الداخل) ألا أخرست الجدري حناجركم. من يحدث هذه الضوضاء هناك؟ ما شأنك؟.

بومباي : اصدقاؤك يا سيدي، الجلاد، أن تكون لطيفاً يا سيدي فتقف لتلاقي الموت.

برناردين : (من الداخل) اذهب عني أيها الوغد، اذهب عني أريد أن أنام.

ابهورسون : قل له أن عليه أن يقف وبسرعة أيضاً.

بومباي : آمل، أيها السيد برناردين، أن تبقى مستيقظاً حتى يتم إعدامك ثم تنام بعد ذلك.

ابهورسون : اذهب إليه واحضره.

بومباي : إنه آت يا سيدي، إنه آت، إني لأسمع خشخشة أغلاله.

(يدخل برناردين)

ابهورسون : هل الفأس فوق منصة الإعدام، يا هذا؟

بومباي : على أهبة الاستعداد يا سيدي.

برناردين : كيف أنت الآن يا أبهورسون وما أنباؤك؟

ابهورسون : الحقيقة، يا سيدي، أنه علي أن أدفعك إلى الإسراع بالصلاة لأن الأمر بإعدامك، انظر، ها هو قد وصل.

برناردين : أيها الوغد، لقد كنت طيلة ليلي احتسي الخمر وأنا لست مهيئاً لذلك بعد.

بومباي : يا لك، إن ذلك لأفضل لك، فذاك الذي يحتسي الخمر طوال الليل، ثم يعدم في الصباح الباكر قد ينعم بسبات أعمق طيلة اليوم التالي.

(يدخل الدوق متنكراً)

ابهورسون : الا فانظر يا سيدي، ها هو الأب الروحي آت إليك أتعتقد أننا نلهو الآن؟.

الدوق : لقد أتيت، يا سيدي يدفعني حبي لعمل الخير وسماعي أن عليك أن ترحل بسرعة، أتيت لأقدم لك الهداية والسلوى وللصلاة معك.

برناردين : أيها الراهب، إنني غير صالح للهداية. لقد أمضيت طوال ليلي معربداً ولا بد لي من وقت أطول لأهيىء نفسي، أو عليهم أن يطيحوا برأسي بهراوات غليظة، فمن الأكيد أنني لن أوافق على أن أموت اليوم.

الدوق : آه يا سيدي، لا بد لك، ولذا أرجوك أن تفكر في الرحلة التي عليك أن تقوم بها.

برناردين : أقسم بأنني لن أموت اليوم، مهما كانت الأسباب.

الدوق : ولكن اسمع.

برناردين : ولا كلمة وإذا كان هناك ما تحدثني به فاحضر إلى غرفتي اليوم (يخرج).

(يدخل آمر السجن)

الدوق : لا يصلح لحياة أو موت، يا لك من قلب صلد متحجر.

الآمر : إليه أيها الرفاق وهاتوه إلى منصة الإعدام

(يخرج أبهورسون وبومباي) والآن يا سيدي كيف وجدت السجين؟

الدوق : مخلوق لم يهيىء نفسه، غير صالح للموت، فلو دفعنا به إلى الرحيل للعالم الآخر بالروح التي هو عليها لكان ذلك أمراً منكراً.

الآمر : هنا في السجن أيها الأب توفي اليوم بحمى عاتية رجل اسمه راجوزين، لص بحار ذاعت شهرته في الآفاق وكان في سن كلوديو، لحيته وشعر رأسه من لونه تماماً. ماذا لو أننا تجاهلنا هذا الشقي إلى أن يقبل بمصيره راضياً ونرضي نائب الدوق بسحنة راجوزين وهي قريبة الشبه بسحنة كلوديو؟

الدوق : ذلك تصادف هيئته السماء فانهض لتنفيذه في الحال، وها قد حانت الساعة التي حددها انجيلو، فلتعمل على تنفيذ ذلك وإرسال الرأس وفق الأمر، وفي هذه الأثناء سأقوم بمحاولة لإقناع ذلك الشقي الفظّ بأن يُقدم على الموت راضياً.

الآمر : سينفذ ذلك أيها الأب الصالح في الحال. وأما برناردين فلا بد أن يعدم بعد الظهر، ولكن كيف نبقي كلوديو حياً وأفلت أنا من خطر

يتهددني فيما لو عُرف أنه ما زال حياً؟.

الدوق : فلينفذ هذا، ضعهما في زنزانتين خفيتين، كلاً من برناردين وكلوديو، وقبل أن ترسل الشمس بتحيتها اليومية مرتين إلى ما وراء السجن من عالم بشر ستعلم بأن سلامتك قد ضمنت.

الآمر : إني الحبيس بلا أغلال لديك.

الدوق : هيا إلى التنفيد وأرسل بالرأس إلى انجيلو (يخرج آمر السجن) والآن سأرسل رسائل إلى أنجيلو وسيحملها الآمر وستحمل في معناها ما يشير إلى أني شارفت ربوع الوطن وإني، لأسباب لها خطرها، أراني مضطراً أن أدخل البلاد علانية، وإني لأوصيه هو أن يقابلني عند النافورة المقدسة إلى الجنوب من المدينة بميل واحد، ومن هناك في تسلسل عقلي هادىء، وهيئة متزنة سنقضي في شأن انجيلو.

(يدخل آمر السجن)

الآمر : ها هو الرأس سأحمله بنفسي.

الدوق : ملائم جداً، ارجع سريعاً فإني سأكلمك في أشياء يجب ألا يسمعها سواك من الناس.

الآمر : سأمضي بأقصى سرعة.

(يخرج)

ايزابيل : (من الداخل) السلام عليكم.

الدوق : هذا صوت ايزابيل، لقد حضرت لتعرف ما إذا كان أمر الصفح عن شقيقها قد وصل إلى هنا، ولكني سأدعها على غير علم بما بيِّت لها من خير لتخلق السماء لها من القنوط سلوى حين تعز التسلية.

(تدخل ايزابيل)

ايزابيل : هلاَّ أذنت لي.

الدوق : أسعدت صباحاً يا بنيتي الجميلة اللطيفة.

ايزابيل : كلام جميل حين يصدر لي من مثل هذا الرجل القديس أوَلَمْ يرسل نائب الدوق إلى الآن أمر الصفح عن شقيقي.

الدوق : لقد اطلق سراحه من العالم يا ايزابيل قُطع رأسه، وأُرسل إلى أنجيلو.

ايزابيل : لا، هذا غير ممكن!!!

الدوق : لا شيء غير هذا، اثبتي ذكاءك يا ابنتي بصبر منك لا ينضب.

ايزابيل : سأسرع إليه لأسمل عينيه!

الدوق : سوف لن يسمح لك أن تشاهديه.

ايزابيل : أي كلوديو التعس، ويا إيزابيل المسكينة! يا للكون الشرير! عليك اللعنة يا انجيلو!

الدوق : كلام لا يضيره ولا يجديك نفعاً، فكفي عنه وسلمي أمرك للسماء واسمعي ما أقول: ستجدين كل حرف فيه صدقاً تماماً. سيرجع الدوق غداً إلى الوطن. كفكفي عبراتك فمن أحد أديرتنا ومن قسيس الاعتراف فيه ترامى إليّ هذا الهمس، فعلاً لقد أرسل إشعاراً إلى إيسكالوس وانجيلو وهما يستعدان الآن لمقابلته عند البوابات ليسلماه سلطتهما، فإذا تمكنت أن تجعلي نباهتك تنهج النهج الصحيح الذي أرسمه لها فستصلين إلى مبتغاك فيما يخص هذا الوعد، عفو الدوق، وشفاء غليلك والمنزلة لدى عامة الناس.

ايزابيل : إني رهن إشارتك.

الدوق : سلمي هذه الرسالة إذن إلى الراهب بيتر، فهي الرسالة نفسها التي أرسلها لي عن رجوع الدوق وأخبريه إنني ـ بناء على هذا الدليل ـ أريده أن يلحق بي هذه الليلة بمنزل مريانة، فسأنهي إليه بكل شيء عن قضيتك وقضيتها وسيأتي بك أمام الدوق، وإلى رئيس انجيلو هذا بثي اتهامك له، بثاً محكماً. وأما عن شخصي الضعيف فإني مرتبط بوعد مقدس، ولذا

فسأكون غائباً، اذهبي بهذه الرسالة وكفكفي هذه العبرات المضطربة في مقلتيك بقلب راض، لا تثقي بنظامي الديني إذا أنا غررت بك، من القادم.

(يدخل ليسيو)

ليسيو : أسعدتم مساء أين آمر السجن أيها الراهب؟.

الدوق : ليس بالداخل يا سيدي.

ليسيو : أي إيزابيل الجميلة، إن فؤادي ليذوي حين أشاهد مقلتيك وقد كحّلها الإحمرار، عليك أن تتذرعي بالصبر، لم يبق لي سوى أن أجعل من الماء شرابي واللحاء مأكلي، فأنا لا طاقة لي ـ لما يعانيه فكري ـ أن أحشو بالطعام أمعائي، فلو أني تناولت طعاماً دسماً، فسأنكب في تفكير أليم ولكنهم يقولون إن الدوق سيكون هنا غداً، أُقسم يا إيزابيل أنّني كنت أحب شقيقك، ولو كان الدوق القديم الغارق في الخيالات الغريبة والمولع بتقصي الخفايا موجوداً على أرض الوطن لعاش.

(تخرج إيزابيل)

الدوق : إنّ الدوق، يا سيدي ليتصرف بطريقة مذهلة غير ملقٍ كبير بال إلى ما تشيعه عنه، ولكن

لحسن الحظ، وليس في حياته شيء من تلك الشوائب.

ليسيو : إنّك لا تعرف الأمير أيها الراهب معرفةً صحيحة كما أعرفه أنا، إنه صياد نساء ماهر، أبرع مما تظن.

الدوق : حسناً، ستجد عاقبة ذلك يوماً ما، وإلى اللقاء.

(مبتعداً)

ليسيو : بلى، انتظر، سأرافقك، وسأقص عليك كثيراً من القصص عن الدوق.

الدوق : حقيقة، لقد أسمعتني ـ الشيء الكثير عنه، إذا كان كلامك صحيحاً، وإلا فإنك لم توفه حقّه.

ليسيو : لقد مثلت أمامه يوماً ما، لأن فتاة حبلت مني بطفل.

الدوق : هل فعلت ذلك؟

ليسيو : نعم.. فعلت ولكن كان لا بُد لي أن أحنث بعهدي، وإلا لكان عليّ أن أتزوج من تلك الفاكهة الفاسدة.

الدوق : ليس في عشرتك شيء من الإخلاص بقدر ما فيها من السلاسة، أتمنى لك وقتاً طيباً.

(مبتعداً)

ليسيو : أُقسم أني سأرافقك إلى آخر الدربْ، وإذا كـان الحديث عن الفسق يزعجك فسوف لن نـطرقه إلا لمـاماً، ولن أكتفي بهـذا بل سـأبقى وإياك ـ أشبه شيء بعقدة الخشب ـ ملتصقاً بك.

(يخرجان)

المشهد الرابع في «فيينا»

(يدخل انجيلو وايسكالوس)

إيسكالوس : كل رسالة بعث بها تتناقض مع غيرها.

انجيلو : في تخبط وعته، إن في تصرفاته ما يشبه - إلى حد كبير - مساً من الجنون، ندعو الله ألا يصاب عقله بلوثة، لماذا نلتقيه عند البوابات ونعيد إليه سلطاته هناك؟

ايسكالوس : لا أستطيع أن أفهم.

انجيلو : ولماذا يتوجب علينا أن نعلن - في خلال ساعة قبل دخوله البلد - أن على من يطلب تصحيحاً لباطل، أن يعرض شكواه في الشارع؟

ايسكالوس : إن له مبرراً لذلك حتى ينظر في الشكاوى في الحال، وليدفع عنا ما قد يدبر ضدنا مستقبلاً، فلا تقوم له قائمة أمامنا.

انجيلو : حسناً، أرجوك أن تعمل على القيام بالإعلان في وقت باكر من الصباح، سأعرج عليك في منزلك، فلتتصل بكل ذي منصب سام وكل ذي حاشية ممن يجب أن يستقبلوه.

ايسكالوس : سأقوم بفعل ذلك يا سيدي، فإلى اللقاء.

(يخرج ايسكالوس)

انجيلو : مساء الخير. تقلب هذه الزلة كياني تماماً وتطير بعقلي وتجعل مني عاجزاً عن أن أفعل شيئاً، بتول فضت عذريتها بيد شخصية بارزة نفذت القانون ضدها، ولكن حتى لا يصبح ما أصابها من عار مخز فاضحاً لما فقدته من عذرية البتول كيف يمكنها أن تعرض بي، إن المنطق ليفرض عليها أن لا، ومركزي يحف به من كبير الثقة ما يحف، فلا يمكن لوصمة ما أن تنال من شخصي بل ترتد على من ينفثها، كان يجب أن يحيا ولكن شبابه الأرعن، وقد انتابه الشعور بخطر يتهدده كان يمكن أن يلجأ ـ يوماً ما ـ إلى الثأر لاضطراره أن يحيا حياة ملطخة دفع فدية لها هذا العار، ليته ـ رغم ذلك ـ قد عاش يا للأسف، حين نغفل عن كرامتنا فلا مجال لسواء السبيل بيننا، بل نتخبط يمنةً ويسرة.

(يخرج)

المشهد الخامس

«صومعة راهب»

(يدخل الدوق «في زيه الحقيقي» والراهب بيتر)

الدوق : هذه الرسائل، عليك أن تسلمني إياها في الوقت المناسب يناوله الرسائل إن آمر السجن على علم بهدفنا وخطتنا فحين يبحث بالأمر فلتراع التعليمات التي لديك والتزم بخطتنا. ومع ذلك فلا مانع من أن تتأرجح من حين لآخر بين النقيضين حسب ما يقتضيه الحال، اذهب إلى بيت فلافيوس واهمس له بمكان إقامتي وكذا أفعل مع فلينسيوس ورولان وكرسوس وإنه عليهم أن يأتوا بنافخي الأبواق إلى المدينة. ولكن أرسل لي فلافيوس أولاً.

الراهب بيتر : سينفذ أمرك بسرعة وعلى أحسن حال.

(يخرج الراهب) (يدخل فريوس)

الدوق : أشكرك يا فريوس، لقد أتيت بسرعة تعال معي، سوف نسير سوية، هناك جمع من أصدقائنا سوف يؤدون لنا التحية هنا في الحال، يا صديقي العزيز فريوس.

(يخرجان)

المشهد السادس

«في فيينا»
(تدخل إيزابيل ومريانة)

ايزابيل : إني لا أحب الالتواء في الكلام سأقول الحقيقة، ولكن توجيه التهمة إليه على هذا الشكل عليك أنت أن تقومي به، ومع ذلك فقد طلب إليّ أنا أن أفعل ذلك لنخفي ـ كما يقول هو ـ مآربنا.

مريانة : اتبعي أمره.

ايزابيل : وقد أخبرني ـ كذلك ـ أنه لو تصادف ولم يكن كلامه لصالحي فيجب أن لا تصيبني الدهشة، فتلك جرعة مرة الطعم لغايات عذبة.

(يدخل الراهب بيتر)

مريانة : كنت أحب لو أن الراهب «بيتر».

ايزابيل : ألا سلاماً! لقد حضر الراهب.

الراهب بيتر : إليّ، لقد وجدت أنسب موقع لكما بمقدوركما منه أن تريا الدوق فلا يفلت منكما، لقد دوّت الأبواق مرتين وها هم المواطنون ـ ذوي القدر العظيم والمحتد الأصيل ـ قد تشبثوا بالبوابات، وفي أعقابهم سريعاً ما يدخل الدوق، لذلك فلتنصرفا. (تخرجان)

الفصل الخامس

المشهد الأول

(مكان عام قريب من بوابة المدينة)

(يدخل من أبواب متفرقة الدوق «في لباسه الخاص» وفريوس وبعض اللوردات (وبعض الأتباع) وانجيلو وايسكالوس وليسيو وبعض المواطنين).

الدوق : استقبال جميل يا ابن العم المبجل وأما أنت يا صديقنا الوفي القديم فنحن مسرورون أن نراك.

انجيلو : نتبادل وفخامتكم الملكية التحيات الطيبة.

الدوق : شكري القلبي الكبير لكليكما لقد سألنا عنك مستفسرين وسمعنا من أخبار عدالتك الحقة الشيء الكثير، مما نجد أنفسنا معه لا نستطيع إلّا أن نعرّفك للشعب ليقدم واجب الامتنان لك وها هي البشائر قد فاقت كل تقدير.

انجيلو : إنك لتزيد من إحساسي بالمسؤولية.

الدوق : وهل عجب في ذلك، إن فضائلك لتتحدث عنك بصوت مدوٍّ، ومن الجور أن أدعها مطوية في ثنايا صدر مغلق بينما هي جديرة بأن تخلد

بأحرف من نور في حصن حصين ضد أنياب الزمن وغبار النسيان، هات يدك وهيا، ليبدو كل شيء ويظهر للشعب كي يعرف أن ما يتجلى للمجتمع من كريم السجايا لا بد منبثق عن فضائل مخفية، هيا يا ايسكالوس فلترافقنا في مسيرتنا من الجهة الأخرى وإنكما لخير عضدين لي.

(يدخل الراهب بيتر وايزابيل)

الراهب بيتر : الفرصة مناسبة لك الآن، ارفعي عقيرتك واجثي أمامه.

ايزابيل : أيتها العدالة، أيها الدوق ذو المقام الجليل، ألا فانظر إلى معتدٍ عليها، كنت أود أن أقول، عذراء، بتول أيها الدوق الخليق بالتقدير، لا تدع عينك تقذى بالنظر إلى أي أمر آخر حتى تنتهي من الانصات إلى شكواي العادلة وتحقق لي العدالة والإنصاف، العدالة، العدالة، العدالة، العدالة!

الدوق : ابسطي شكواك، فيم؟ ومن الجاني؟ اختصري وأمامك هنا لورد أنجيلو، سوف يحقق لك العدالة فاسردي له شكواك.

ايزابيل : أواه، أيها الدوق المبجل. إنك لتطلب مني أن

ألتمس الفـداء من إبليس. فلتنصت لي أنـت بنفسك، فكل ما أقوله إما أن ينـزل بي الجزاء، إذا لم يـأخذ بـه أو ينتـزع منـك الإنصـاف، ألا أصغ لي، أصغ لي، أصغ.

انجيلو : سيدي، أخاف أن يكون بها مس من جنون لقد كـان لها التمـاس لدي لمصلحـة شقيقها الـذي قضت مجريات العدالة بإعدامه.

ايزابيل : مجريات العدالة!

انجيلو : وستتكلم كلاماً عجيباً ملؤه الحنق.

ايزابيل : سـأتلكم عجبـاً ولكنـه حق. إن أنجيلو سفـاك دمـاء، أليس عجبـاً؟ إن أنجيلو قـاتـل، أليس عجباً؟ منافق، منتهـك أعراض العـذارى أليس عجباً وعجباً؟

الدوق : بلى، إنه العجب العجاب!

ايزابيل : ليس أنجيلو هـو حقـاً ـ بـأنجيلو إلا بمقـدار مـا تتـطابق عليـه روايتي من حق هـو في الـوقت عجب، نعم، إنـه حق وألف حق، فـإن الحق يظل حقاً إلى مدى الآباد.

الدوق : خـذوها بعيـداً، يا لهـا من مخلوقـة تعسـة إنهـا تهرف بما تهرف في نوبة خبل.

ايزابيل : ألا، أيها الدوق، أناشدك بما تؤمن به من عـالم

آخر، أكثر راحة من هذا العالم، ألا تشح الطرف عني ظناً منك أن بي مساً من جنون، لا تعتقد أنه مستحيل ذاك الذي يبدو بعيداً، ليس مستحيلاً أن يبدو أفظع خسيس على وجه الأرض في مسحة من الحياء والوقار والنزاهة والعصمة من الخطأ كما يبدو أنجيلو، وكذا يستطيع أنجيلو، بالرغم مما يتحلى به من مظاهر وأوسمة وألقاب شرف ووشاح جدارة، أن يكون وغداً كبيراً، ثق فيما أقول، أيها الدوق المبجل، وهو لا شيء دون ذلك، ولكنه شر من ذلك لو كان في جعبتي للشر تعبير آخر.

الدوق : بشرفي لو أن بها مساً من جنون وهو - في رأيي - ما لا شك فيه، فإن جنونها يتخذ شكلاً من التعقل غاية في الغرابة، ففيه تمسك المعاني بأذيال بعضها مما أسمعه من مجنون للمرة الأولى.

ايزابيل : أتوسل إليك، أيها الدوق، ألا تردد هذه النغمة، وألا تبعد، بينك وبين صوت العقل، تلك الفجوة التي بينك وبيني، وليكن عقلك مبيناً للحق حيث يظهر خفياً ومزهقاً للباطل حيث يبدو جلياً.

الدوق : كم من العقلاء أحوج ـ قطعاً ـ منها إلى العقل، ماذ تريدين؟

ايزابيل : إنني شقيقة كلوديو، حُكم عليه لارتكابه الفحشاء بأن يقطع رأسه، قضى عليه أنجيلو. وأما أنا فلكي يسبر غور شقيقي أوفد إليّ وقتذاك من يدعى ليسيو رسولاً.

ليسيو : ذاك أنا هو، إذا كان ذلك يروق لدى فخامتكم. جئت إليها من لدن كلوديو وطلبت إليها أن تجرب حظها مع أنجيلو ليصفح عن شقيقها.

ايزابيل : هو ـ حقاً ـ ذاك.

الدوق : (إلى ليسيو) لم يصدر إليك أمر بالكلام.

ليسيو : كلا يا سيدي اللطيف ولم أشأ أن أظل صامتاً.

الدوق : أريدك الآن أن تفعل ذلك. أرجو أن تراعي هذا، وحين تكون أمام أمر يهمك، فابتهل إلى السماء حينئذ أن تكون صادقاً فيما تقول.

ليسيو : كن من ذلك، سيادتك، على ثقة.

الدوق : الثقة تخصك أنت فلتراع ذلك.

ايزابيل : هذا الرجل حكى طرفاً من حكايتي.

ليسيو : صحيح.

الدوق : قد يكون ذلك صحيحاً، ولكنك تخطىء حين تتكلم في غير وقتك. تابعي.

ايزابيل : لقد ذهبت إلى ذلك النائب القذر الشرير.

الدوق : هذا كلام أخرق نوعاً ما.

ايزابيل : أرجو المسامحة يا سيدي فالعبارة في الموضوع.

الدوق : عادت إلى العقل ـ المضمون، تابعي.

إيزابيل : قصارى القول: كم استرحمت، وكم ابتهلت، وكم ركعت على ركبتي وكم صدني، وكم حاورت وداورت. فقد طال ذلك أي مطال، والنهاية الدنيئة أبدأ قصتها الآن بين اليأس والعار فقد أبى، إلاّ إذا قدّمت له جسدي الطاهر هدية لشهوته الجامحة الطاغية. رفض إطلاق سراح شقيقي، وبعد كثير من الحوار طغى كمدي على شقيقي على عفتي فأسلمت نفسي له، ورغم ذلك، ففي ساعة مبكرة من اليوم التالي، كان حقده الدفين، قد بلغ غايته. فأرسل أمراً بقطع رأس شقيقي البائس.

الدوق : أهذا كلام ظاهر الاحتمال!!

ايزابيل : آه لو بلغ مظهره مبلغ حقيقته.

الدوق : أقسم بحق السماء، أيتها التعسة الحمقاء، إنك تهرفين بما لا تدركين وإلا فإنك تتآمرين على شرفه في حقد بغيض، فنزاهته، أولاً، ليس بها

من شـائبة، وليس يعقـل بالتـالي أن يشـدّد هـو النكير ـ بمثل هذه القوة ـ على زلات هي زلاتـه هـو، فلو أنه أثم، كمـا تدّعين، لكـان قـد وزن شقيقك بميزان نفسه ولما أعـدمه. لقـد زج بك إلى هذا الادعاء بعض الناس. اعترفي بالحقيقة واكشفي عمن أشـار عليك أن تتقـدمي بشكواك هنا.

ايزابيل : هل هذا كل شيء؟ إذا كان كذلك، إلا يـا رسل السماء الأطهار في العلياء ثبتوني، وعندما يحين الــوقت ألا فلتبينـوا عن الفســاد، الـذي ظــلّ المظهر البراق يلفّه، ولتحمك السماء يـا مولاي من الأحــزان بينمـا أمضي من هنـا ـ مكسـورة الخاطر، لا أحد يصدقني.

الدوق : إني أعلم أنك تريدين أن تغادري هذا المكان ـ إليّ بضـابط. اذهب معها إلى السجن (تـوضـع إيزابيل تحت الحراسة) أنسمح أن يوصم وصمة عار مدمرة امرؤ وثيق الصلة بنا إلى هذا الحـد؟ لا بـد أن في الأمـر مؤامـرة من يعلم بمقصـدك وقدومك إلى هنا؟

ايزابيل : شخص ليتــه كــان هنــا الآن، هــو الــراهب لودويك.

الدوق : يبدو أنه أب جهنمي، من يعرف لودويك هذا؟

ليسيو : أنا أعرفه يا سيدي، إنه راهب دائم المداخلة في شؤون الناس، أنا لا أحبه، ولو كان علمانياً يا سيدي - وقد تلفظ ببعض عبارات تجرح فخامتك وأنت غائب عنا - لسحقته سحقاً.

الدوق : عبارات تجرحني! يظهر أنه راهب ساذج ذاك الذي زج بهذه المرأة البائسة إلى هنا ضد نائبنا، ابحثوا عن هذا الراهب.

ليسيو : مساء أمس فقط يا سيدي، شاهدتها برفقة هذا الراهب في السجن، وهو راهب سليط، إنسان وقح غاية في الوقاحة.

الراهب بيتر : ليبارك الله عظمتكم، لقد كنت بالقرب منك، يا سيدي، وسمعت ما يضلل سمعك من الكلام، فهذه المرأة أخذت تكيل لنائبك الاتهام ظلماً بينما هو بريء، من أية علاقة أو أي رجس معها كبراءتها هي من طفل لم يولد بعد.

الدوق : لم نعتقد غير ذلك، أتعرف الراهب لودويك الذي تكلمت عنه.

الراهب بيتر : أعرف رجلاً طاهراً تحيط به قدسية السماء، ما هو بسليط ولا يتدخل في عرض زائل كما يُشاع عنه ذلك الرجل - وعلى مسؤوليتي ما تلفظ

بمقال سوء ـ كما يدعي هذا الرجل ـ بفخامتكم.

ليسيو : تأكد، يا سيدي، أنه فعل ذلك في خسة بالغة.

الراهب بيتر : حسناً، سيحين الوقت ليبرىء نفسه ولكنه في هذه اللحظة ـ يا سيدي ـ عليل يشكو من حمى غريبة، وبناء على رغبته، حين ترامت إليه أنباء بأن ثمة شكاية مبيتة ضد لورد أنجيلو، أثبت أنا إلى هنا لأتكلم بلسانه عما يعلم، من حق وباطل، وما يمكن بقسمه، وكل دليل آخر، أن يكشف عنه واضحاً كل الوضوح حين يطلب إليه ذلك، ولنبدأ الكلام بما يختص بهذه المرأة فمن أجل أن تثبت براءة هذا الرجل النبيل، الجليل الشأن، الذي ألصق الاتهام به شخصياً، على مرأى من الناس، ومسمع ستسمعون ما يضادّ ادعاءاتها المزعومة أمام عينيها مما يجبرها أن تقرّ وتعترف.

الدوق : فلنسمع منك هذه القصة أيها الراهب الطيب ألا يثير ذلك ابتسامة منك يا لورد أنجيلو؟ أيتها السماء، يا لغرور البلهاء المساكين إلينا ببعض المقاعد، إليّ يا ابن العم أنجيلو سأكون في هذه القضية، مجرداً عن الهوى، ولتكن أنت

الفيصل في قضيتك أنت. (تدخل مريانة مقنعة) أهذه هي الشاهدة، أيها الراهب؟ فلتكشف أولاً عن وجهها، ثم تتكلم بعد ذلك.

مريانة : العفو يا سيدي، سوف لن أكشف عن وجهي إلاّ أن يأمرني زوجي بذلك.

الدوق : ماذا تقولين، هل أنت متزوجة؟

مريانة : كلا يا سيدي.

الدوق : هل أنت عذراء؟

مريانة : كلا يا سيدي.

الدوق : أرملة إذن؟

مريانة : ولا حتى أرملة.

الدوق : عجباً ، أنت إذن ـ لا شيء فلست بعذراء ولا أرملة ولا زوجة؟

ليسيو : ربما تكون مومساً يا سيدي، فكثيرات منهن لسن عذراوات ولا أرامل ولا زوجات.

الدوق : اخرسْ هذا المخلوق، ليت أنَّ له قضية يثرثر فيها عن نفسه.

ليسيو : حسناً يا سيدي.

مريانة : أعترف يا سيدي أني لم أتزوج قط وأعترف أني لست بعذراء، لقد عرفت زوجي، ولكن زوجي لا يعرف أنه في يوم ما، قد حدث أن عرفني.

ليسيو : كان ثملاً، إذن يا سيدي، لا يمكن أن نتوصل إلى شرح الأمر أفضل من هذا.

الدوق : لكي يسود السكون والهدوء، ليتك أنت كنت كذلك أيضاً.

ليسيو : حسناً يا سيدي.

الدوق : ما هذه بشاهدة مع لورد انجيلو.

مريانة : سأتطرق الآن لهذا الموضوع. فتلك التي تتهمه بالفحشاء إنما توجه الاتهام ذاته إلى زوجي وهي تنسب إليه، يا سيدي، تمضية وقت معها وأنا أقرر أنه قد أمضاه معي، بين ذراعيّ بكل ما ينطوي عليه الحب من معانٍ.

انجيلو : أهي تتهم شخصاً آخر سواي؟

مريانة : لا أعرف شخصاً آخر.

الدوق : لا تعرفين؟ لقد قلت إنه زوجك.

مريانة : نعم، زوجي ليس إلا، ذاك هو أنجيلو، وهو يدّعي زاعماً أنه ما عرف قط جسدي بل يعرف ـ واهماً ـ أنه عرف جسد إيزابيل.

انجيلو : إنها لمغالطة غريبة الشأن عجيبة، فلتكشفي عن وجهك.

مريانة : (تكشف القناع) إن زوجي يأمرني، فها أنا أكشف الآن قناعي، ذلك، يا أنجيلو هو الوجه

الذي أقسمت، في ذات يوم، أنه يستهويك، وتلك هي اليد، التي ضمت ـ بميثاق مقترن بعهود ووعود ـ إلى يدك ضماً عنيفاً، ذلك هو الجسد الذي حظي بالميعاد من إيزابيل وأرضاك في حديقة دارك متقمصاً شخصيتها المزعومة.

الدوق : أتعرف هذه المرأة؟

ليسيو : جنسياً، كما تقول هي.

الدوق : يا هذا كفى.

ليسيو : كفى يا سيدي.

انجيلو : يجب أن أعترف يا سيدي، أنني أعرف هذه المرأة ومنذ خمس سنين مضت، جرى كلام عن الزواج بيني وبينها، ثم انقطع لأن ما افترضناه من مهر لم يكن قد تجمع، ولكن العامل الجوهري أن سمعتها قد تمرغت في حمأة طيشها، ومنذ ذلك الحين، أي من خمس سنين لم أتكلم معها بكلمة واحدة، ولا شاهدتها، ولا هي اتصلت بي أقسم بعقيدتي وشرفي.

مريانة : أيها الدوق النبيل كما أن النور ينبثق من السماء، وكما أن الألفاظ تنبثق مع الأنفاس، وكما أن الحق يتفتق عن مغزى، والفضيلة

تتفتق عن حق كـذا خُـطبت أنـا زوجـة لـذلـك الـرجل، بـرباط قـوي قوة الألفـاظ التي تصوغ الوعود، بل حدث، يـا سيدي الصـالح دون أن تذهب بعيداً، حدث مساء الثلاثاء المـاضي أن ذهبت إلى حديقة داره فعرفني فيها كزوجة، فـإذا اتضـح أن هـذا الكـلام صحيـح فلتنتصب في اطمئنان، ركبتاي الجاثيتان. وإلا فـلا تمر إلى الأبد في هذا المكان تمثالاً من رخام.

انجيلو : لقـد كنت، إلى الآن، أبتسم. والآن يا سيـدي الكـريم، فلتأخـذ العدالـة مجـراهـا، لقـدنفـذ صبـري، وأرى أن هؤلاء النسـاء الحمقـاوات، لسن إلاّ سوى أداة تسخرها يد قوية وتـدفع بهـا دفعاً، أفسح لي المجال يا سيـدي لأكشف عن هذه المؤامرة.

الدوق : أجـل، من كل قلبي وعـاقبهن، كمـا يحلو لـك تماماً أيهـا الراهب الأحمق، وأنت أيتهـا المرأة الشريرة إنك تتآمرين، مع رفيقتك التي ذهبت، وتظنين أن اليمين التي أقسـمت بها رغم أنهـا قد تهـوي إلى الحضيض بكـل قـديس على ظهـر الوجود فإنها تقوم دليلاً ضـده، يحط من قدره، وما حظي به من ثقة عقدت له بيننا؟ هيا يـا لورد ايسكـالوس لتجلس إلى ابن العم، ولتبـذل معه

اقصى جهدك لتكشف كيف نبتت هذه الإهانة.
إن وراء الستار، راهباً يحرضهما فاعمل على استدعائه.

الراهب بيتر : ليته كان هنا يا سيدي، فهو الذي ـ حقاً ـ قد زج بهؤلاء النسوة إلى تقديم هذه الشكوى، إن آمر سجنك يعرف منزله وبمقدوره أن يأتي به.

الدوق : فلتذهب وتنفذ ذلك في التو (يخرج تابع) وأما أنت يا ابن العم النبيل، وقد تدعَّم مركزك تدعيماً كافياً ويهمك سماع تفاصيل هذا الموضوع، فلتتصرف كما تريد إزاء ما لحق بك من إهانات بالعقوبة التي تحلو لك وسأدعك أنا لفترة من الوقت ولكن لا تغادر مكانك هذا، حتى تقرّ رأيك على أمرنا تجاه هؤلاء الجانيات.

ايسكالوس : سينفذ ذلك بحذافيره يا سيدي (يخرج الدوق) أيها السيد ليسيو ألم تقل إنك تعلم أن الراهب لودويك رجل لا يؤتمن؟

ليسيو : ما كل من لبس المسوح براهب، فهو قديس بملابسه فقط عدا أنه تلفظ بكلمات بذيئة عن الدوق.

ايسكالوس : نرجوك أن تبقى هنا إلى أن يحضر ثم واجهه بما

تلفظ به، سيبدو لنا أن هذا الراهب رجل جدير بالملاحظة.

ليسيو : كما هي حال كل رجل في فينا، أقسم لك.

ايسكالوس : واستدع مرة أخرى المرأة ذاتها التي تدعى ايزابيل. أريد أن أتكلم إليها (يخرج تابع) أطلب منك يا سيدي أن تأذن لي باستجوابها، سترى كيف أتصرف معها.

ليسيو : إنك لن تفضله، بإقرارها هي نفسها.

ايسكالوس : ماذا تقول؟

ليسيو : أظن يا سيدي، لو أنك خلوت بها فإنها سريعاً ما ستعترف لك، أما إذا كان الأمر في العلن، فربما تشعر بحرج. (يدخل من أبواب مختلفة آمر السجن مع الدوق متخفياً وإيزابيل تحت الحراسة).

ايسكالوس : سأذهب مستخفياً بالظلام لأقوم بمحاولة معها.

ليسيو : تلك أفضل وسيلة فالنساء ذلولات في سكون الليل.

ايسكالوس : اقتربي أيتها السيدة فهنا امرأة تكذب كل ما ذكرته.

ليسيو : ما هو النذل الذي تكلمت عنه قادم يا سيدي مع آمر السجن.

ايسكالوس : في الوقت المناسب، لا توجه إليه كلاماً حتى أطلب أنا منك ذلك.

ليسيو : مَم.

ايسكالوس : اقترب يا سيدي، أغررت بهؤلاء النسوة ليخدشن سمعة لورد أنجيلو، لقد أقررن أنك قمت بذلك.

الدوق : إنه لافتراء.

ايسكالوس : إنك جريء جداً أتعرف أين أنت الآن؟

الدوق : فليقدم الإجلال لمركزك الخطير وليحظ الشيطان بالتكريم ـ يوماً ما ـ لعرش له من سعير اين الدوق ـ يجب أن يسمعني هو حين أتكلم.

ايسكالوس : إننا نمثل الدوق، وسنسمعك نحن حين تتكلم أنصحك بأن تنطق بالصدق.

الدوق : على الأقل بشجاعة، ولكن واأسفاه أيها القوم التعساء أأتيتم تفتقدون الحمل عند الذئب ألا على عدالتكم السلام، هل ذهب الدوق؟ إذن ذهبت معه شكواكم أيضاً، لم يكن عادلاً حين قابل نداءكم الصارخ بهذا اللقاء، ووضع قضيتكم في يد نذل أتيتم إلى هنا لتوجهوا إليه الاتهام.

ليسيو : ذاك هو الكاذب الأفاق الذي عنيته في كلامي.

ايسكالوس : عجباً، أيها الراهب الذي انكشف عنه ثوب وقاره ومسحة قداسته، ألم يكفك أن رحت تحرض هاتين المرأتين لتكيلا الاتهام لذلك الرجل الجدير بالاحترام، بل رحت بوسيلة بذيئة، وعلى مسمع منه، تسميه نذلاً؟ ثم تنعطف على الدوق نفسه، لتتهمه بالجور؟ فلتمضوا به بعيداً ولتذهبوا به إلى أداة التعذيب، سنوثقك إليها ونذيقك العذاب شداً وجذاباً حتى تتقطع أطرافك ولكن يجدر بنا أن نعلم مقصده ماذا! أظالم!

الدوق : لا تنفعل هكذا: إن الدوق لن يجترىء أن يلمس إصبعاً مني إلا إذا أقدم على سحق إصبعه هو، وما أنا من رعيته ولا أنا تحت سلطان نظام ديني، فمركزي في هذه الدولة جعل مني رقيباً في فيينا حيث رأيت الفساد يغلي ويفور إلى أن فاض بمرجله، قوانين تصاغ لكل الأخطاء ولكن الأخطاء تقابل بالاستخفاف، حتى ان أشدها قسوة أصبحت وكأنها قائمة عقوبات في حانوت مزين تعلق أداة للهزء وللسخرية.

ايسكالوس : قذف في حق الدولة، اذهبوا به إلى السجن.

انجيلو : ما عندك ضده يا سينيور ليسيو، أهذا هو الرجل الذي رويت لنا طرفاً عنه؟

ليسيو : هو ذاك يا سيدي. إلى هنا، أيها الملقب بالرجل الصالح ،يا ذا الرأس الأصلع، أتعرفني؟

الدوق : إني لأتذكرك يا سيدي بنبرات صوتك، لقد قابلتك في السجن أثناء غياب الدوق.

ليسيو : يا لك، هل فعلت ذلك، وهل تذكر ما سبق أن تفوهت به عن الدوق؟

الدوق : اذكر ذلك جيداً يا سيدي.

ليسيو : أحقاً يا سيدي؟ وهل كان الدوق داعراً أحمق جباناً، كما نعته حينئذ؟

الدوق : يجب أن نتبادل شخصياتنا يا سيدي قبل أن تدعي أن ذلك ما تفوهت به، أنت هو ذاك الذي تكلمت عنه بما تكلمت، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك بكثير، وأسوأ منه بكثير.

ليسيو : أيها الرجل اللعين، ألم أجذبك من أنفك لما نطقت به؟

الدوق : أقسم أني أحب الدوق حبي لنفسي.

انجيلو : اسمعوا، كيف يلين هذا النذل الآن بعد سيل من الإساءات الموصومة بالخيانة.

ايسكالوس : غيـر لائق بأي امرىء أن يتكلم مـع مثـل هـذا الـرجل، اذهبـوا به إلى السجن، وزودوه بعـدد كاف من الأبواب تـطبق عليه، وأوصي الا يؤذن له بالتكلم مرة أخرى، واذهبوا بهاتين المـرأتين العـابثتين أيضـاً وبـذلـك المخلوق المتـواطىء معهن.

(يقبض الأمر على الدوق)

الدوق : (إلى الآمر) فلتبق يا سيدي، لتبق لحظة.

انجيلو : ماذا حصل أهو يقاوم؟ ساعده يا ليسيو.

ليسيو : هيا يا سيدي، هيا يا سيدي، هيا يا سيدي. لا بد يا ذا الرأس الأصلع، أيها النذل الأفاق، لا بد وأنك تتستر تحت قناع، أليس كذلك؟ اكشف عن سحنة النذل منك، ألا فليصبك الجدري، اكشف عن وجه آكل الحملان، الذي تحمله، ليتـك تذوق الإعـدام لمـدة سـاعـة من الـزمن ألا يمكن أن تخلع هذا؟

(يرفع قناع الراهب فيكشف عن الدوق)

الدوق : إنـك لأول نذل في البـرية، فيض لـه أن يصنـع دوقـاً ائذن لي أيهـا الآمـر أن أحـرر بكفـالتي - سـراح هـذه الشخصيـات الثلاث اللطاف من أغلالهم (إلى ليسيو) لا تتسلل من هنا يا سيدي

لأنـك، أنت والراهب، لا بـد لي ـ بعد هنيـة ـ من كلمة معكما، اقبضوا عليه.

ليسيو : (جانباً) ربما يكون ذلك أمر بالاعدام.

الدوق : (إلى ايسكالوس) أني لأتجاوز عما نطقت به، فلتتفضل بالجلوس سنستعير مركـزه. (إلى أنجيلو) اسمح لي يا سيـدي: ألـديـك من المنطق أو الذكاء أو الجرأة ما يجعلك أهـلاً بمنصبك؟لو كان لديك ذلك فاحيا به حتى انتهي من قصتي وتنح بعد ذلك.

انجيلو : ألا يا سيدي المبجل سأذنب أكثر مما أذنبت لـو أني أعتقدت أنه لن يفطن لي أحد في حين أرى فخامتكم، كقوة سماوية، تتبـع خطواتي، وعليه، أيها الدوق الصالح، لا تعقـد أية جلسة حـول فضيحتي وليكن اعتـرافي بنفس مقـام محاكمتي قضـاء عـاجلاً إذن يمسـك المـوت بأذياله هذا كل ما آمله من رأفة.

الدوق : تعالي هنا يـا مريـانة قـل لي، ألـم ترتبط بهـذه المرأة بعقد زواج.

انجيلو : ارتبطـت يا سيدي.

الدوق : اذهب بهـا من هنا وتـزوجها في الحـال، ولتقم أيها الراهب بالمراسم، وعنـدما تنتهي منهـا عد

به إلى هنا ثانية، رافقه أيها الآمر.

(يخرج انجيلو ومريانة والراهب بيتر وآمر السجن)

ايسكالوس : إن دهشتي لما حل به من خزي تفوق دهشتي لما ينطوي عليه ذلك من غرابة وعجب.

الدوق : (إلي يا إيزابيل) لقد أصبح راهبك الآن أميرك، وكما كنت ساهراً على خدمتك، ولأنني لم أبدل فؤاداً بفؤاد عندما بدلت لباساً بلباس فما زلت مقيماً على السهر على خدمتك.

إيزابيل : ألا فاصفح عني لقد جلبت ـ وما أنا إلا من عبيدك ـ الآلام والمتاعب لجلالتك، وأنا أجهل من أنت.

الدوق : لك مني العفو والصفح يا إيزابيل. والآن افتحي ـ مثلي ـ يا فتاتي العزيزة ـ قلبك لي، إني لأدرك أن موت شقيقك يجثم على قلبك، وربما تعجبين لم أخفيت نفسي وأنا أسعى لإنقاذه، ولم لم أوثر أن أكشف في طيش عن سلطاني المستتر على أن أدعه لمصيره. أيتها العذراء الرقيقة جداً، لقد كانت السرعة الفائقة التي تم بها موته رغم أني أعتقد أن تلك السرعة كانت أبطأ مما كان يجب هي التي حددت خطتي، ولكن ألا سلاماً عليه. إن الحياة الأخرى التي لا يعكر صفوها خوف من موت

لأفضل من حياة يحف بها الخوف، فخففي عن نفسك، إن شقيقك لينعم الآن بمثل هذه السعادة.

إيزابيل : إني لفاعلة يا سيدي.

(يدخل أنجيلو ومريانة والراهب بيتر وآمر السجن).

الدوق : وأما عن هذا الرجل القادم إلينا، والذي تزوج أخيراً، ذاك الذي دفع به خياله الشهواني إلى أن يسيء إلى شرفك المنيع فهبيه غفرانك لخير مريانة، ورغم ذلك فكما أنه حكم على شقيقك بالإعدام فكذلك هو لأنه اقترف جريمة افتئات مزدوجة فانتهك عرضاً وخرق عهداً مرتكباً الجريمة نفسها التي حرم هو بسببها شقيقك من الحياة، كذلك تنادي الرحمة المنتزعة من القانون، الرحمة ذاتها ناطقة بلسانه هو، فليذهب انجيلو كفّارة عن كلوديو، فالموت كفارته الموت. هكذا عجلة بعجلة وأناة بأناة تجاب والصاع بالصاع والعين بالعين وعليه أنجيلو، فذنبك جلي واضح ومهما أنكرت فلن يجديك الإنكار شيئاً، قضينا عليك بمنصة الإعدام ذاتها حيث أحنى كلوديو رأسه للموت بالعجلة نفسها اذهبوا به.

مريانة : يا مولاي الكريم، اني لألتمس ألا تهزأ بي فتلوح لي، مجرد تلويح، بزوج.

الدوق : إن زوجك هو الذي سخر منك ملوحاً ومراداً مني أن أصون شرفك فقد رأيت أن زواجك أفضل السبل لذلك، وإلا فإن الوصمة التي وسمتك منذ عرفك، قد تلطخ حياتك وتقف حائلاً دون كل خير يأتيك، وأما عن أملاكه فرغم أن تلك أصبحت من حقنا عن طريق المصادرة فإننا نقطعك إياها جميعاً كحق كفل للأرملة لتوفقي به إلى زوج أفضل.

مريانة : ألا يا سيدي العزيز إني لا أتمنى رجلاً سواه ولا زوجاً أفضل منه.

الدوق : لا تتمنيه أبداً، لقد بتينا في الأمر.

مريانة : يا سيدي الصالح.

الدوق : انك تضيعين جهدك بدون فائدة. اذهبوا به إلى الموت (إلى ليسيو) والآن يا سيدي نتجه إليك.

مريانة : (جاثية) الرفق والرحمة يا مولاي اللطيف... تحدثي بلساني، يا إيزابيل الجميلة واجثي عني بركبتيك، وكل ما كتب لي من عمر جديد لأوقفنه جميعاً على خدمتك.

الدوق : إن لجاجتك وإياها تجافي كل منطق، فلو أنها

جثت تطلب الرأفة في هذا المجال فإن شبح شقيقها سوف ينفض عنه فراشه الوثير وينتزعها في هلع من هنا.

مريانة : أي إيزابيل الجميلة أناشدك أن تجثي معي ارفعي يديك دون أن تهمسي بشيء دعي لي مهمة التحدث جميعاً، يقال إن الأخطاء بوتقة تصاغ فيها خبرة الرجال. إنهم يزدادون صقلاً بما يقعون فيه من زلات، كذا زوجي، إيزابيل، أما تجثين عني؟

الدوق : يجب أن يموت تكفيراً عن موت كلوديو.

ايزابيل : يا سيدي الكريم (جاثية) ألا فلتتدبر ـ إذا أحببت ـ أمر هذا الرجل الذي حكمت بإعدامه كما لو أن شقيقي لم يمت، إني ليخامرني الظن أن وفاء أصيلاً كان مسيّره في أفعاله إلى أن وقعت عيناه علي، وطالما أن الأمر كذلك فهبه الحياة، لقد لقي شقيقي حكم العدالة فهو قد اقترف ـ فعلاً ـ ما يبرر موته، وأما أنجيلو فإن تصرفه لم يتبع سوء نيته ويجب أن يسدل الستار عليه كنية تحشرجت وهي تتلمس سبيلها، فالخواطر لا عبرة بها والنيات إن هي إلا خواطر ليس إلا.

مريانة : ليس إلا يا مولاي.

الدوق : لا فائدة من توسلك، فهيا انهضي، لقد خطر لي ذنب آخر، إن قطع رأس كلوديو في ساعة مبكرة على غير العادة؟

الآمر : كذا أنهي إلينا الأمر.

الدوق : هل وصلك تصريح خاص بهذا الشأن؟

الآمر : كلا يا مولاي الطيب، لقد وصلنا خطاب شخصي.

الدوق : ولهذا السبب أعفيك من وظيفتك سلمني مفاتيحك...

الآمر : ألا فاصفح عني يا مولاي النبيل، لقد خامرني الظن بأن ذلك خطأ، غير أني لم أكن أكيداً ولكني بعدما تفهمت الأمر جيداً، شعرت بالندم ودليلي على ذلك، أن أحد السجناء كان مقدراً له ـ ولولا ما أصابني من ندم ـ أن يلقى الموت ولكني أبقيته حياً.

الدوق : من هو؟

الآمر : هو يسمى برناردين.

الدوق : ليتك صنعت ذلك مع كلوديو ائتني به إلى هنا، لأرى وجهه. (يخرج آمر السجن).

ايسكالوس : يؤسفني أن عالماً كبيراً وأديباً لامعاً، كما قد

ظهرت لنا شخصيتك حتى الآن يا لورد انجيلو، ينزلق إلى هذا الدرك، سواء في زلته الصادرة عن فورة الدم أو تلك التي أتت في أعقابها بسبب افتقاره إلى المرونة في الأحكام.

انجيلو : ويؤسفني أن أكون المصدر لهذه اللواعج وأن الحزن والغم ليمسكان بعنف بأغوار قلب أضناه الندم حتى أصبحتُ أكثر تلهفاً إلى الموت مني إلى الرأفة فالموت أحق بي، واني لأتلمسه.

(يعود آمر السجن وبرناردين وكلوديو مقنعاً وجوليت)

الدوق : أيهم ذاك الذي يسمى برناردين؟

الآمر : هاك هو يا مولاي.

الدوق : حكى لي أحد القساوسة ذات يوم حكاية هذا الرجل. يا هذا، يقال ان لك رأساً متحجراً لا يستسيغ غير عالمنا هذا وتبعاً لهذا تنظم حياتك، لقد حكم عليك بالإعدام، ولكني أعفو عن هذه الأخطاء الدنيوية جميعاً وآمل أن تكون هذه الرأفة خير حافز يدفع بك إلى حياة أفضل في مستقبل الأيام، أيها الراهب، قدّم إليه النصح إني لأضعه بين يديك، أي امرىء ذاك الرجل معصوب العينين؟

الآمر : هذا سجين آخر أنقذته، كان يجب أن يموت

وقت أن فقد كلوديو رأسه إنه يكاد يشبه كلوديو بقدر ما يشبه نفسه.

(يكشف القناع عن كلوديو)

الدوق : (إلى إيزابيل) طالما أنه يشبه شقيقك فلأجله هو صفحت عنه، وأما أنتِ، أيتها الشخصية الجذابة، فناوليني يدك وقولي انك ستكونين لي وان شقيقك لهو شقيقي كذلك، ولكن هذا الكلام أحتفظ به لوقت أنسب، من هنا وعى لورد انجيلو إلى أنه صار في مأمن لكأني ألحظ بريق الحياة يعود إلى عينه، حسناً يا أنجيلو، إن الشرُّ فيك قد عاد إليك خيراً، فليكن شعارك أن تحب زوجتك، لها ما لك من مكانة ومركز. إني لأشعر في قرارة نفسي بانعطاف نحو الصفح والغفران ومع ذلك فبيننا، في هذا المكان، رجل لا قبل لي بالصفح عنه (إلى ليسيو) أنت يا هذا، يا من عرفتني كأحمق وجبان، إنسان فاسق ظاهراً وباطناً، أتان، معتوه ماذا صنعت معك لتعرّض بي إلى هذا الحد؟

ليسيو : كن على ثقة يا سيدي أن ما نطقت به ما كان إلا من باب المزاح، إذا ما شئت أن تعدمني لهذا

السبب، فلك أن تقوم بذلك، ولكني أفضل ـ إذا أحببت أن أضرب بالسياط.

الدوق : تضرب بالسياط أولاً وتعدم ثانياً يا سيدي عليك بالنداء علناً عن ذلك أيها الآمر في أرجاء المدينة، فإذا وُجدت امرأة قد أساء إليها هذا الرجل الفاسد، كما سمعته يقسم أن هناك امرأة حملت منه بطفل، فمرها أن تمثل أمامنا ولنزوجنه بها، وحين ينتهي العرس فليضرب بالسياط ثم يعدم.

ليسيو : إني ألتمس من فخامتكم ألا تزوجني بمومس، لقد ذكرت فخامتكم الآن، الآن فقط، أنني أقمتك أميراً، فلا تكن مكافأتي منك يا مولاي الكريم أن تجعل مني قواداً.

الدوق : أقسم بشرفي، انك لمتزوجها، إني لأتجاوز عما ألصقت بي من وصمات، وعليه فعليك أن تدفع ثمن ما عداها من نقائصك، اذهبوا به إلى السجن واحرصوا أن ينفذ أمرنا.

ليسيو : الزواج من مومس يا سيدي ما هو إلا أشغال شاقة مؤبدة وضرب بالسياط وإعدام.

الدوق : إن خدش سمعة دوق ليستحق ذلك (يخرج الضباط مع ليسيو) احرص، يا كلوديو، أن تجبر

من تلك المرأة نفساً صدعت، وهنيئاً لك يا مريانة، ولتهبها الحب أنجيلو، لقد اعترفت على يدي، وأنا على ثقة من عفتها، لك الشكر أيها الصديق الطبيب ايسكالوس لطيبتك المتناهية إن لك عندي جزاء أوفى، مما سيبعث الرضى في نفسك. شكراً لك أيها الآمر لتيقظلك وحفاظك على السر، سوف نرفعك إلى مرتبة أعلى واصفح عنه يا أنجيلو لبعثه إليك في منزلك رأس راجوزين بدلاً من كلوديو، فالخطأ قد كفر عن نفسه، ويا إيزابيل العزيزة، إني سأفضي إليك بما فيه خيرك فإذا أحببتِ أن تعيريني أذناً صاغية فما لي فهو لك وما لك فهو لي فهيا بنا إلى قصرنا، حيث نستعرض ما نحن بصدده من أمور أخرى، مما يجب أن تعرفوه جميعاً.

(يخرج الجميع)

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت. لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

روائع شكسبير

* مكبث
* الملك لير
* هملت
* عطيل
* كليوباترا
* العاصفة
* يوليوس قيصر
* تاجر البندقية
* ريتشارد الثالث
* روميو وجوليت
* سيدان من فيرونا
* حلم ليلة صيفية
* العين بالعين
* ملهاة الأخطاء
* مأساة كريولانس
* خاب سعي العشاق